

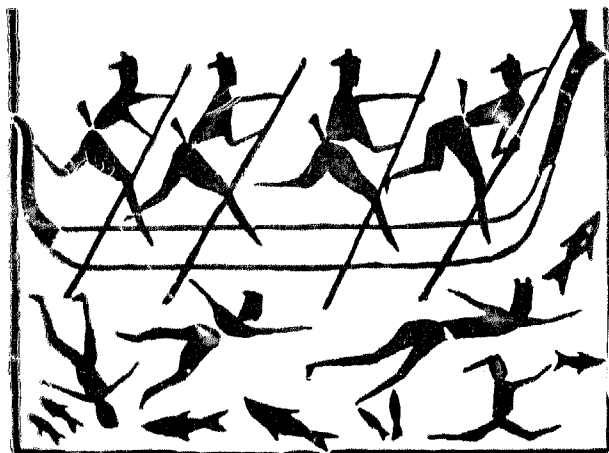


سلسلة كتب
«سور الصين العظيم»



تاريخ الصيد

(الجزء الاول)



Bibliotheca Alexandrina



0003683



١٩٨٦

سلسلة كتب "سور الصين العظيم"

تاريخ الصين (الجزء الاول)

مجلة "بناء الصين" بكين . ١٩٨٦

المقدمة

الصين من اقدم بلاد العالم حضارة وتاريخها المكتوب يعود الى اربعة آلاف سنة . يضم ترابها كنوزا اثرية وفيرة فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة . وقد بدأت مجلة « بناء الصين » من شهر اكتوبر ١٩٧٨ فى نشر سلسلة من تاريخ الصين . وقد جمعناها طبقا للتسلسل التاريخي - يجمعها هذا الكتيب ، بناء على رغبات قرائنا الكرام .

يقع الكتيب فى جزئين ، الجزء الاول يضم نشاطات الانسان فى المصور البدائية والمجتمع العبودى وبمض الفترات من المجتمع الاقطاعى (قبل القرن العاشر الميلادى) - ١٥ مقالة . اضافة الى الصور الاثرية والايضاحات بالرسوم .

والجزء الثانى سيضم تاريخ الصين من القرن الحادى عشر الى نهاية المجتمع الاقطاعى فى اوائل القرن العشرين .

الفهرس

٤	المجتمع البدائي
١٠	المجتمع العبودى - اسر شيا وشانغ وتشو الغربية
١٧	الاحلال المجتمع العبودى - عصر « الربيع والخريف »
٢٣	بداية المجتمع الاقطاعى - حقبة الدويلات المتحاربة
٣٠	أسرة تشين - اول دولة اقطاعية موحدة
٣٧	أسرة الهان الغربية
٤٤	تفكك أسرة الهان الغربية وظهور الشرقية
٥١	حقبة التعدد فى الاسر والدويلات المتزامنة
٥٧	الاسر « الجنوبية » و « الشمالية »
	الثقافية فى عهد « الممالك الثلاث » واسرلى جين الغربية والشرقية والاسر
٦٢	الجنوبية والشمالية
٦٨	أسرة سوي
٧٣	الاقتصاد الاجتماعى فى عهد أسرة تانغ
٧٩	الاقليات القومية والعلاقات الخارجية فى أسرة تانغ
٨٨	الثقافية فى أسرة تانغ
٩٣	انتفاضات الفلاحين فى أسرة تانغ وتدهورها

المجتمع البدائي

ان الصين هي احد مواطن الانسان الاول . ففي ازمة مبكرة جدا كان يعيش في هذه البقاع اسلاف الشعب الصيني الذين كشفت الحفريات عن آثارهم في بكين ومقاطعات يوننان وشنشى وشانشى وقويتشو وخنان . وقد عثر في مقاطعة يوننان على اسنان متحجرة منذ ١٧٠٠٠٠٠ سنة تعود للانسان يوانمو (١) وهو اقدم انسان في الصين عرف حتى الآن . وجاء بعده انسان لانتيان المكتشف في مقاطعة شنشى ويرجع الى ما قبل ٨٠٠٠٠٠ سنة ، ف انسان بكين قبل ٤٠٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠٠ سنة ، وكان يقيم في تل لونغفو قرب تشوكوديان جنوب غربى بكين . ومن منبوشات الادوات الحجرية المتواضعة التى استعملها انسان بكين ، ومخلفات النار واحافير الثدييات استكملنا صورة واضحة للانسان الاول تشكلت منها الصفحة الاولى من تاريخ الصين.

يحمل رأس انسان بكين شها مع القرد - البشرى نجده في خواصه التشريحية التالية : جبهة منخفضة مع عظمتين غليظتين متصلتين فوق عينيه ، أنف افطس عريض ، فم ناتئ ، وجنتان بارزتان ، فضلا عن الجمجمة السمكة التى تصغر جمجمة الانسان الحديث . وثمة مع ذلك تطور اصاب اطرافه الاربعة نتيجة لاستخدامها في العمل ممكنه من التصرف بها حسب حاجاته رغم ان رجليه ظلتا غير تامتى الاستقامة . وقد جلب هذا التطور في الاطراف الاربعة تطورا مماثلا على الرأس والدماغ . وبهذه الخواص يتميز انسان بكين عن القرد البشرى .

تمكن انسان بكين من صنع الادوات البسيطة من الحجر والخشب ، مسجلا بذلك احد الفروق الاساسية بين الانسان والحيوان . وتشمل هذه الادوات ، التى استعملت للصيد والجنى ، الحقبة المبكرة من الدهر الحجري القديم . واقتبس النار من الغابات المحترقة بفعل الصواعق وحفظها طوال السنة وقد استخدمها للحصول على الطعام الناضج السهل الهضم الذى ساعد على تقوية بدنه ، كما عزز بها قدرته على تحدى الطبيعة باستخدامها للاضامة والتدفئة وطرد الضواري .

ولعدم كفاءة الادوات تعذر على انسان بكين ان يحصل منفردا على قوته فكان يعمل جماعيا . ولتأمين سلامته فقد عاش كذلك بشكل جماعى . وكان يخرج نهارا فى زمر ليجمع النباتات ويقتنص الحيوانات الصغيرة بالحجارة او العصى ، وتستهلك مكتسبات النهار من قبل المجموع . وكانت تسرح فى هذه البقعة التى تمتاز برطوبتها واعتدال مناخها قطعان الاوابد والضواري كالحصان البرى والايل المرقط والغزال والكركدن والدب والذئب والنمر ذى الاسنان السيفية . اما مهبجه ففى الكهوف الجبلية التى تحميها المشاعل الدائمة من غزو الوحوش . وفى اثناء العمل الجماعى صار بإمكان انسان بكين ان يعبر عن مشاعره ويتبادل افكاره باصوات لغوية بسيطة بمساعدة الايماء .

المشترك العشائرى

تطور الانسان الاول فى النضال ضد الطبيعة فظهر بعد انسان بكين ، انسان مابا (قوانغدونغ) فى حوض نهر اللؤلؤ وانسان تشانغيانغ (هوىي) فى حوض اليانغتسى ، وانسان دينتسون (شانشى) فى حوض النهر الاصفر . وفيما قبل ١٧٠٠٠ سنة عاش مخلوق آخر يشبه الانسان الحديث من حيث الاساس سماه انثروبولوجينا « انسان الكهف الاعلى » لانه اقام فى كهوف تقع فوق كهوف انسان بكين . ويؤشر هذا الكائن مرحلة تطور من الانسى المنتصب او الانسان - القرد (النسانس) الى الانسى المتعقل او الانسان الحديث . وكان لهذا الانسان من القدرات ما ليس لسابقه فقد مارس الحفر والنحت وخياطة الملابس من الجلود بالابر العظمية والتقشير والسلخ . وصار يأكل ، علاوة على النباتات والحيوانات البرية ، السمك وغيره من الاحياء المائية كما انه عرف كيف يستوقد النار (٢) .

بعد ان تطور النسانس الى الانسان تغير التنظيم الاجتماعى فتحولت القطعان البدائية التى تعيش بشكل عشوائى الى « المشترك العشائرى » القائم على رابطة الدم بين افراده . وكان الشكل الاول لهذا المشترك اموميا . وخلال الالف السنين ، شهدت الصين مشتركات عشيرة امومية شملت هيلونغجيانغ شمالا ، وشينجيانغ فى الشمال الغربى ، ويوننان والتبت فى الجنوب الغربى ، وتايوان جنوبا . وقد عثر عام ١٩٥٢ على طلل لقرية بانبوه (شنشى) فى حوض النهر

الاصفر ، يرجع الى ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ سنة ، يعرف بطلل عشيرة بانبوه . وفي عام ١٩٧٣ نبش عن اطلال اخرى في قرية خمدو بمحافظة يويو (تشجيانغ) في حوض اليانغتسى ترجع الى «عشيرة خمدو» (٣) . وفي هذين الموقعين وقفنا على نموذجين كاملين للمشارك العشائري يرجعان الى الدهر الحجري الجديد . في عشيرة بانبوه التي شهدت ذروة المشارك العشائري الاموى ، تبوأت المرأة مكانة قيادية في الانتاج والحياة اليومية بحيث تحددت الانساب تبعاً للام . وعلى يد هذه العشيرة بدأ استعمال الفأس والرفش والسكين الحجري المصقول وكذلك الابرة والمخز والصنارة والكلاب ، المعمولة من العظام والقرون . كما استعملت في الصيد سهام ذات نصل من الحجر او العظام . وفي ايامها بدأت الزراعة ، ربما على يد المرأة التي لفت نظرها نمو النبات من البذور المتساقطة على الارض فتعلمت كيف ينبت الزرع . وقام انسان بانبوه بتنظيف الارض من الاعشاب والاشجار بالنار ثم تمهيداً بالرفش الحجري والمعزقة الخشبية ، وبذرهما بالعصا الخشبية المدببة . ومن المحاصيل التي زرعت حينذاك الذرة (الصين اول بلد يزرع الذرة في العالم) وقد استعملت في حصادها السكاكين الحجرية-والفخاريات والخضروات للاكل والقتب للقماش . ومع تقدم وسائل الصيد كثرت عوائده فتوفر منه فائض للتربية . ومن اوائل الحيوانات التي بدى بتربيتها الخنزير والكلب والبقر والغنم والدجاج . ورغم ان الزراعة وتربية الحيوان احتلت جزءاً رئيسياً من الانتاج فمازال الصيد - البرى والمائى - يحتفظ بمكانة هامة .

وبدأ انسان بانبوه بانتاج الفخاريات واستعمالها اوعية الماء وغيره والطبخ ، وظهرت على يديه اولى محاولات الزخرفة حيث وجدت على فخارياته صور لوجه الانسان وللأسماك والزهور . . واولى محاولات الكتابة متمثلة في علامات كتابية من ٢٠ او ٣٠ نمطا وجدت مخطوطة على اوعية الفخار .

وفي مشترك بانبوه تحولت المعيشة من الكهوف الى البيوت التي بنيت على شكل اكواخ مستطيلة او مستديرة تضم ما بين ٤٠ او ٥٠ بيتاً بلا نوافذ ، وحولها خندق بعمق ٦ امتار وعمق بنفس القدر لحمايتها من الضواري ، وكانت ابوابها موجهة صوب الجنوب لتجنب ريح الشمال الباردة . ويشغل كل بيت حوالى عشرة امتار وفي وسط كل منطقة سكنية-مبنى كبير مستطيل للنشاط

الجماعى . وقد وجدت خارج الخندق مقبرة تقع الى الشمال واتون في الشرق . وتشكل من كل هذه المعطيات ملامح قرية منظمة تتدرج في نفس طراز حضارة يانفشاو الحجرية .

في خمدو ، كما في بانبوه ، استعملت الادوات الزراعية من العظام والخشب والحجر للحراثة وزرع الرز الذى بدأت زراعته في الصين قبل غيرها . وعاش اهل خمدو ، قبل ٧٠٠٠ سنة ، حياة مستقرة تعتمد على الزراعة وتربية الحيوان كالخنزير والكلب والجاموس وسكنوا في بيوت من الخشب .

ان كلا من بانبوه وخمدو مشترك عشيرى ، فالاراضى والمساكن والمواشى وممتلكات عامة ، والعمل جماعى ، ويشارك الجميع في ثماره بلا استثناء او حيف في التوزيع . وكانت المساواة قاعدة عامة اذ لا وجود لفقر او غنى ، ورفيع او وضع . ولم يعثر على أى فوارق في الادوات الجنائزية يمكن ان تشير الى فوارق في الحياة الاجتماعية .

وكان للعشيرة كبيرها الذى ينظم شئونها دون ان تكون له سلطة آمرة . وتحل المشاكل بالتشاور بين كل الافراد . . ولما نشأت القبيلة من انضمام العشائر المتجاورة لم يطرأ تغير على بنيتها الاجتماعية وظل كبير القبيلة ، شأن كبير العشيرة ، يتعين بالاختيار ، دون ان يفصل عن العمل او يتمتع بامتياز .

العشيرة الابوية

مع تطور الزراعة ورعى المواشى ، اخذ الرجل القيادة من المرأة في الانتاج والحياة اليومية فظهرت العشيرة الابوية التى تتحدد فيها الانساب حسب رابطة الدم مع الاب . ويعنى ذلك افول المجتمع البدائى وهو ما تدل عليه آثار اواسط حضارة داونكو واولاها (٤) . وقد كشف عن هذه الحضارة عام ١٩٥٩ في داونكو . (شانلونغ) وهى ترجع الى ما قبل ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة ، وتمتد ما بين شانلونغ وشمال جياننسو .

في عصر داونكو صار الانسان يزرع الاراضى المستصلحة بعد قطع الاشجار والدغل بادوات حجرية ويستعمل للحصاد سكيناً من الحجر ومنجلاً من العظام والاصداف . وتطورت رعاية الخنزير والغنم والقبر والدجاج فوفرت المزيد من مصادر اللحوم . ومع دخول الانتاج هذه المرحلة من تطوره

ظهرت صناعة يدوية تفسم الفخاريات والحجريات و العظميات الى جانب صياغة ونحت اليشم والماج . وبدأت بعض الاسر تتخصص في واحدة او اكثر من هذه المهن . وفي اواخر هذا العصر نشأت الملكية الخاصة على حساب المساواة البدائية حيث خلقت زيادة الانتاج امكانات الاستيلاء على ثمار عمل الآخرين ؛ وطفق كبراء العشائر او القبائل يستفيدون من مراكزهم للاستئثار بالفواض وكان في مقدمة ما استأثروا به الحبوب والمواشي ثم امتلكوا ادوات الزينة واوعية الخمر وحليت نسائهم بالاسورة وخواتم اليشم واستخدموا امشاط العاج ، وتميزوا في الدفن فاحتوت قبورهم على الكثير من المواد الجنائزية كرأس الخزير وفكة الاسفل وادوات الفخار . وقد نبش في احد القبور الكبيرة عن ١١٧ مادة من بينها رفش وسوار من اليشم وثلاث قلائد من الرخام والفيروز و١٣ قدحا للخمر . هذا بينما اقتصرت مقتنيات معظم افراد العشيرة على لوازم الانتاج والفخاريات اليومية ، طبقا لما دلت عليه محتويات قبور الفقراء التي نبش عنها في نفس الموقع .

تقودنا هذه التغيرات في الوضع الاجتماعي لمجتمع العشيرة الى نشوء الطبقات والصراع الطبقي الذي اتسمت به الحقبة الاخيرة من حضارة داونكو ؛ ومنه الى ظهور الدولة ، وليدة الانقسام الطبقي . وقد انعكست هذه السيورة في خرافات قديمة ، منها حكاية هوانغ دي (الامبراطور الاصفر) الذي قيل انه شكل اتحادا قبائليا قبل اكثر من ٤٠٠٠ سنة ، تولى زعامته باختيار ديمقراطي ، كل من هوانغ دي ، وياو ، وشون ، ويوي على التوالي . وتبعها للخرافة ، كان ياو غنيا وانه زود شون ، المرشح لخلافته ، بالملابس والآلات الموسيقية وباعداد وفيرة من الماشية والاعنام . وكان لشون هري في بيته لتخزين الحبوب الزائدة كما كان يقايض ما لديه من البضائع مع العشائر الاخرى . وتقول الخرافة ان يوي ، آخر هؤلاء الحكام ، قد جاء من عائلة نبيلة ، وانه استخدم ما لديه من قوة لفرض ارادته على الآخرين . وبعد موته تولى ابنه تشي رئاسة الاتحاد ، وهذا اول خرق لمبدأ الاختيار الديمقراطي .

لقد صار الامر وراثيا . ويعزى الى تشي نفسه تأسيس اسرة شيا (٢١٠٠ - ١٦٠٠ ق . م) التي اعتبرت بداية الدولة في الصين . وتحول كبراء العشائر الى قادة اغنياء ، ولتوسيع نفوذهم وزيادة ثرواتهم ساقوا افرادهم الى الحروب

واخلوا باسترقاق الاسرى بدلا من قتلهم ، بينما انحط بعض الفقراء الى عبيد .
وارغم المتسلطون عبيدهم على العمل المرهق وابتزوا كل ثمار كدهم .
هكذا ظهر المجتمع العبودى على اشلاء المجتمع البدائى فتفككت الملكية
العامة والفيت المساواة بين الناس . لكن النظام العبودى وسع حجم الانتاج ورفع
الانتاجية ، فهو بالتالى يمثل قفزة فى التقدم الاجتماعى مكنت المنتجين الرئيسيين
وهم العبيد ، من خلق ثروات مادية وعلوم وثقافات لم يعرفها المجتمع البدائى .

المجتمع العبودى

اسر شيا وشانغ وتشو الغربية

اسرة شيا - اقدم دولة عبودية

اسرة شيا ، اولى الاسر المالكة فى تاريخ الصين ، تطورت فى القرن ٢١ ق . م من عشيرة شيا التى كانت تقيم على ضفاف النهر الاصفر ونهر لويشوى غرب مقاطعة خنان ، وفى جنوب مقاطعة شانشى ، وامتد نفوذها الى ملتقى حدود مقاطعات خنان وخبى وشاندونغ بمحاذاة مجرى النهر الاصفر شرقا ، والى حدود مقاطعة هوىى جنوبيا . ورغم انها لم تنفرد بهذه الاقاليم فان نشاطها كان طاغيا على غيرها من العشائر .

استخدم الشياويون معازق الخشب وسكاكين الحجر ومناجل الصدف واستوعبوا خلال الانتاج الزراعى اهمية الرى واستخدموا بعض التقنيات البدائية لمكافحة الجفاف والفيضان . وظهر منهم من اشتهر بمهارته فى ترويض الفيضانات كالقائد شيايوى وهو احد ابطال الحكايات . وتمشيا مع زيادة ممارساتهم وخبراتهم فى الزراعة توافرت لديهم بعض المعارف الفلكية والتقويمية التى نظمت الاجيال اللاحقة على اساسها التقويم السنوى وسمته « تقويم شيا الصغير » . ولا يزال هذا التقويم مستعملا حتى اليوم تحت اسم « التقويم القمري » او « تقويم شيا » .

ياسرة شيا بدأ المجتمع العبودى فى بلادنا . والطبقتان الاساسيتان فى هذا المجتمع هما ملاك العبيد والعبيد ، وثمة الى جانبيهما طبقة العامة المنحدرة من اعضاء المشترك العشائرى وهى تزاوِل الانتاج الزراعى والحرف اليدوية . ومن المعروف ان التناقض بين ملاك العبيد والعبيد هو التناقض الرئيسى فى المجتمع العبودى .

كان القائد الأعلى لملك العبيد الاستقراطيين ملك شيا . ومن اجل حماية مصالح هذه الطبقة وقمع معارضة العبيد والامة ظهرت الدولة ، ونظم ملك شيا مع الاستقراطيين اجهزتها القمعية ، الجيش ، والسجون ، وشرعوا القوانين الجنائية وبنوا الاسوار حول المدن . وقد امسك ملك شيا بسلطة الدولة العليا ، وفرض مع الاستقراطيين الديكتاتورية على العبيد والامة .

ولم يتوقف الصراع الطبقي قط خلال اربعمئة سنة استغرقها حكم شيا ، فكان العبيد يهربون او يتمردون كلما سنحت لهم الفرصة . وكان آخر ملوك هذه الاسرة شيا جيه الذى استولى على العرش فى القرن ١٦ ق . م ، وقد شدد هذا الملك اضطهاد الشعب ونهبه وعاش مع الاستقراطيين غايات البخل والترف مما سبب تدهور الانتاج وضعف الدولة . وقد جابه العبيد اضطهاد هذا الملك بالتسبب فى العمل الزراعى . وكانت عشيرة شانغ فى المجرى الاسفل للنهر الاصفر تتحين الفرص بهذه الدولة فانتفضت عليها بقيادة شانغ تانغ الذى قاد تجمعاً من العشائر للهجوم على شيا جيه وانتصر عليه وتلاشت بذلك اسرة شيا .

اسرة شانغ

اسس شانغ تانغ اسرة شانغ بعد دحره لاسرة شيا . وقد اتخذت هذه الاسرة عدة عواصم قبل ان يستقر بان قنغ ، احد ملوكها ، فى مدينة ين شمال غربى آفيانغ بمقاطعة خنان . ولهذا السبب عرفت اسرة شانغ باسم اسرة ين . ايضا فى تاريخ الصين . وكانت هذه الاسرة تحكم اقليما واسعا امتد فى عصرها الذهبى الى البحر شرقا وغرب مقاطعة شنشى غربا ، كما اتصل بمقاطعة لياونينغ فى الشمال الشرقى ، وتجاوز نهر اليانغتسى من الجنوب .

ان اسرة شيا ترجع الى عصور ما قبل التاريخ اذ لم يردنا عنها اى نص مكتوب وانما بدأت الكتابة من اسرة شانغ التى افتتحت العصور التاريخية للصين . وقد اكتشفت دروع السلحفاة وعظام الحيوانات التى استخدمت للكتابة عند اطلال مدينة ين فى اواخر عصر تشينغ (١٦٤٤ - ١٩١١) ، وكشف التنقيب فيما بعد عن بقايا القصور والقبور والمساكن ومشغل الحرف اليدوية ، وتبلغ دروع السلاحف والعظام التى استخرجت من اطلال ين حوالى مئة الف قطعة زدتنا بتفاصيل وافية عن نشاطات ملوك شانغ وملاحم المجتمع فى ذلك

المصر . ويطلق على هذه اللغة اسم « لغة العظام الكهنوتية » . وهى لغة متكاملة نسبيا وتعتبر كتابتها اساسا للمقاطع الصينية المعروفة اليوم . عزز ملاك العبيد فى اسرة شانغ اجهزة الدولة العبودية بغية توطيد مصالحهم . وكانت المناصب السياسية والعسكرية توزع على الارستقراطيين من قبل الملك وهو القائد الاعلى للدولة ، وكان الجيش مكونا من القوات البرية اساسا وسلاحه البلطة والرمح والعربات التى تجرها الخيل . وكان ملاك العبيد مسئولين عن اجهزة القمع ويتولون اصدار القوانين الجنائية وتنظيم السجون .

حضارة شانغ

خلق العبيد فى اسرة شانغ الثروات الوفرة باعمالهم الشاقة ، فدفعوا التطور الاقتصادى والثقافى فى المجتمع العبودى . وكانت الزراعة هى القطاع الانتاجى الرئيسى ، وتشتمل المزروعات فى ذلك الوقت على الدخن والقمح والرز واشجار التوت والكتان . وكان العبيد يعملون جماعات فى اشق الاعمال معتمدين على ابسط الادوات فيحفرون الخنادق والقنوات ويسقون الحقول ويصرفون مياه الفيضان ، وغير ذلك من الاعمال المرهقة . وتذهب ثمار كدهم الى بيوت سادتهم الذين يبتزون كل ما تنتجه هذه الادوات البشرية المسلوقة الارادة .

وكان الثروة الحيوانية فى اسرة شانغ مكان مرموق وهى تتألف من الخزائير والبقر والغنم والخيل والكلاب . ويتولى العبيد تربية هذه الحيوانات لاسيادهم الذين كانوا يستهلكونها فى اغراضهم المعيشية وطقوسهم . وكانت الاخيرة تقتزن بتبذير لا حدود له . وربما ذبح الملك ثلاثمئة بقرة فى قربان واحد لموتاه .

وتطورت الحرف اليدوية كالفخاريات والعظميات وصياغة اليشم ، وتقدمت اعمال البرونز . وقد استوعب العبيد النحاسون مهارات صهر البرونز وسبكها ، وكانوا يستخدمون لصهر النحاس والقصدير اوتونا يسخن حتى الف درجة مئوية ثم يصبون مصهور البرونز فى قوالب فخارية نحتت عليها المخطوط والاشكال المطلوب ابرازها . ومن الادوات التى صنعوها من البرونز قدور ثلاثية الارجل تسمى « تينغ » واقداح ذات مقبض وفوهة جانبية تسمى « جيوه » والاسلحة كالبلطة والرمح ، وادوات الانتاج كالسكين والفأس . ويحسن ان نشير هنا الى اكتشاف سلاح من هذا العصر يدعى يويه يشبه البلطة لكنه اكبر

منها يصنع نصله من طرق حديد النيازك الساقطة على الارض . ويدل ذلك على ان الحديد كان معروفا منذ اسرة شانغ .

أدى تطور الانتاج الزراعى الى تقدم لاحق فى المعارف الفلكية والتقويمية . وقد عرف الشانغون الشهر القمرى قياسا على منازل القمر من محاقه الى بدره ، وفروقا بين الشهر الكبير ، ٣٠ يوما ، والشهر الصغير ، ٢٩ يوما ، وبين السنة البسيطة ، ١٢ شهرا ، والكبيسة ، ١٣ شهرا ، كما عرفوا بعض المجموعات النجمية ، ووردنا منهم اقدم سجل للكسوف والخسوف .

حياة العبيد ونضالهم

فى المجتمع العبودى لم يستول ملاك العبيد الارستقراطيون على وسائل الانتاج فحسب بل استحوذوا على العبيد ، الذين كانوا بمثابة « اداة ناطقة » . وكانوا يسمونهم بالنار فى جباههم لسمتهم من الابق ويربطونهم من اعناقهم عند العمل . وكان يحق للسيد قتل عبده كما يقتل حيوانه ، او يقدمه قربانا للموتى بدلا من الماشية . وقد جاء فى سجلات « لغة العظام الكهنوتية » ان احد السادة قتل ٢٦٥٦ عبدا فى احدى المناسبات الطقوسية . ويدفن العبيد مع سيدهم بعد ان يقتلوا لهذا الغرض . وقد كشف فى قبر احد ملوك شانغ عن اربعمئة عبد قدموا قربانا له . وكان العبيد يجابهون هذا الاضطهاد البشع بالاهمال المقصود فى العمل وتخريب ادوات الانتاج والهرب كما قاموا بالعديد من الانتفاضات ، التى ضعفت حكم هذه الاسرة وحرمته طعم الاستقرار .

اسرة تشو الغربية — دولة عبودية قوية

فى اواخر عصر شانغ استطاعت قومية دونغى ، احدى الاقليات القومية التى كانت تقيم بين نهري اليانغتسى وهوايخه فى الجنوب الشرقى ، الامتداد الى السهول الوسطى . فاشتعلت الحرب بينها وبين اسرة شانغ . ولكن الحرب انتهت بهزيمة قومية دونغى فى عهد شانغ تشو ، آخر ملوك شانغ ، وكانت هذه الحادثة ايزانا بامتداد حضارة السهول الوسطى الى جنوب الصين الشرقى المتخلف ، مما يعنى مساهمة كبيرة فى التطور التاريخى للصين . لكن شانغ تشو كان من الجهة الاخرى طاغية شديد الوطأة على العبيد والعامه ، وقد دفع بسياسة الابتزاز

والنهب الى مداها الاقصى ولم يكن يعنيه من السلطة الا الاستكثار من بناء القصور ووسائل اللهو . ولمجابهة استياء الشعب سن قانونا دمويا للعقوبات . وهو مبتكر « عقوبة بالاولاو » التي تتم بوضع قنطرة نحاسية على فحم متقد ، ثم يضطر « المتهم » الى العبور عليها حافيا ، واذ يشعر بخراة النحاس يحاول التخلص فلا يجد مفرا غير القفز من القنطرة الى حيث تتلقفه النار فتقضى عليه .

وكانت في احواض نهري جينغشوى وويشوى دويلة عبودية اخرى هي تشو التي اسماها تشو ون وانغ ، وهيا لها اسباب التطور السياسى والعسكرى فعاظمت قوتها يوما بعد يوم . وفي عهد خلفه تشو وو وانغ بلغت هذه الدويلة قوة مكنتها من مهاجمة دولة شانغ في حوالى القرن ١١ ق . م . وكان تشو وو وانغ يقود جيوشا مؤلفة من عشائر مختلفة تقيم في غرب الصين وجنوبها . ولما كان شانغ تشو قد ارسل جيشه لمقاتلة قومية دونغى وبقي مرابطا هناك فقد اضطر لتجنيد العبيد وسوقهم لملاقاة جيوش دويلة تشو . والتقى الجمعان في ضاحية مويه القريبة من العاصمة ، لكن العبيد الذين امتلأوا حقدا على طاغية شانغ امتنعوا عن القتال ومكنوا الجيش المهاجم من دخول العاصمة . وقد انتحر شانغ تشو حين بلغته انباء الهزيمة فتلاشت اسرة شانغ .

سميت اسرة تشو في اوائل حكمها اسرة تشو الغربية ، وكانت عاصمتها في هاو جينغ (جنوب غرب مدينة شيآن بمقاطعة شنشى) . وبغية توطيد سلطة هذه الدولة العبودية الجديدة اقام ملك تشو امارات في انحاء البلاد ، وزعها على افراد عائلته ووزرائه الذين انعم عليهم بالقاب الشريف . وكان الامراء يحكمون نيابة عن الملك ويجبون له الاموال كما يملونه بالجنود في حالة الحرب . ومن هذه الامارات : لو ، تشى يان ، وى ، سونغ ، جين وغيرها . وكانت حدود هذه الدولة اوسع من سابقتها ، اذ كان لها فضلا عن الامارات المذكورة مناطق نفوذ واسعة في انحاء متعددة من البلاد .

التطور الاقتصادى لاسرة تشو الغربية

تطور النظام العبودى سريعا في هذا العصر . وكانت الاراضى ملكا للدولة لى الملك الذى يوزعها على الامراء والوزراء على شكل قطائع يستغلونها لحسابهم

ويتوارثونها ، ولكنهم لا يملكون الحق في بيعها . ويتم التوزيع على سبيل المكافأة ، التي تتضمن علاوة على الاقطاعات اعدادا صغيرة من العبيد . ويقيم الملك والامراء و ملاك العبيد في مدن تحيطها حقول مزارعية الاطراف تقسمها القنوات والطرق الى مربعات على شكل 井 وهو مقطع صيني يشير الى البئر (جينغ) ومنه اخذت الحقول اسم «حقول المربعات التسعة» . وترمز مساحة الحقل لمقدار المكافأة الملكية . وكان هذا النظام قد ظهر في عصر شانغ ، فعمته اسرة تشو الغربية في الوادي الاوسط والاسفل للنهر الاصفر . ويسخر العبيد لزراعة هذه الحقول ، والمحاصيل الرئيسية هي الرز والذرة والدخن والقمح والفول والتوت والكتان والبطيخ والفواكه .

وتقدمت الحرف اليدوية في اسرة تشو الغربية عما كانت عليه في اسرة شانغ ، وصارت اكثر تعقيدا . وكانت المشاغل تقوم على اكتاف العبيد الذين وقع عليهم عبء الانتاج في الريف والمدينة . ونجد في كتاب «الاغاني» وهو من اقدم دواوين الشعر الصيني وصفا مقصدا لاحوال العبيد في تلك الدولة ، ومن ذلك قصيدة بعنوان «في سبعة شهور» تحدثت عن عبيد منطقة جيل تشيشان بمقاطعة شنشي ، فقالت انهم يخرجون للصيد في الشتاء وسط الرياح الثلجية ، فاذا صادوا الثعلب قدموا جلده الى الارستقراطيين واذا اصطادوا الخنازير اعطوهم اكبرها ، ويجمعون الجلود ويدخرونها كى يتمتع به الارستقراطيون في الصيف . وفي الربيع يصلح الرجال الادوات الزراعية ويحرقون الحقول تحت اشراف الوكلاء ، اما النساء فينهمكن في جمع اوراق التوت وتربية دود القز للسادة ، علاوة على طبخ الاطعمة وارسالها مع اولادهن الى الذين يعملون في الحقول . وفي الخريف يمهّد الرجال مكان البيادر ثم يحصدون المحاصيل . وفي آخر المطاف يأتي الارستقراطيون فيأخذون الحبوب ، اما العبيد فيدخرون النباتات البزية ليقفلاتوا بها في الشتاء . وعندما تنتهي الاشغال الزراعية يأخذون في بناء القصور وترميمها لاسيادهم .

نهاية اسرة تشو الغربية

تكشف هذه القصيدة القائمة عن سوء حال العبيد في اسرة تشو . والواقع ان هؤلاء المنتجين الرئيسيين لم يكن لهم ما يستر اجسادهم لقاء الثروات الهائلة

التي كانوا يخلقونها . وكانت منزلتهم الاجتماعية أدنى من المواشي ، فكان كل خمسة عبيد يقايضون بحصان ورمية من الحرير . ويعكس النص التالي شكوى العبيد المرة وحقدهم الطبقي العميق :

انتم ايها السادة لا تفرسون الرز ولا تحصصونه فباى حق تنقلونه الى منازلكم ؟ ولا تصيدون في الجبال فباى حق تأخذون هذه الخزائير والارانب وتملأون بها بيوتكم ؟ ايها السادة .. انتم لا تستطيعون سوى الاكل .

على الجانب الآخر كانت حياة ملاك العبيد الارستقراطيين تتفسخ يوما بعد يوم . وكان الملك يشن المزيد من الحروب الابتزازية فتزيد تبعا لذلك اعباء العبيد والعامه . وفي عهد تشو لي وانغ الذي توج في اوسط القرن التاسع ق . م تفاقم الاضطهاد وازداد وضع الشعب سوءا . فقد وضع يده على الغابات والانهار ومنع العامة من الصيد فيها ، وبث العيون في انحناء البلاد للتجسس على الناس الذين صاروا لا يجروون على التحدث لبعضهم خوفا من بطشه . وكانت عاقبة هذا الطغيان انتفاضة مسلحة قامت بها العامة عام ٨٤١ ق . م في العاصمة . وقد اقتحم المتمردون القصر الملكي باسلحتهم فهرب تشو لي وانغ وتسلم السلطة الوزيران تشو قونغ وتشاو قونغ ، حيث بدأ ما سمي في تاريخ الصين عصر الحكم المشترك لتشو وتشاو . والسنة الاولى من هذا العصر هي بداية التاريخ الصينى المسجل ، اذ انها شهدت ظهور اول السجلات التاريخية الصينية . انزلت « انتفاضة العامة » ضربة قاصمة باسرة تشو الغربية فاخذت في التدهور وسادها الاضطراب . وضعفت سلطة الملك حتى استهان به الامراء ، واصبح سقوط الدولة وشيكاً . وهو ما حدث حين هاجمت اقلية شيرونغ القوية هاو جينغ سنة ٧٧١ ق . م واحتلتها معلنة زوال دولة تشو الغربية .

على ان حكم الاسرة لم يسقط ، فقد نقلت العاصمة في السنة التالية الى مدينة لويانغ ، وكان ذلك في عصر الملك تشو بينغ وانغ ، حيث بدأت دولة جديدة لنفس الاسرة التي اصبحت تعرف باسرة تشو الشرقية .

انحلال المجتمع العبودى

عصر " الربيع والخريف "

ينقسم عصر اسرة تشو الشرقية الى العصرين : « الربيع والخريف » و « الدويلات المتحاربة » . فى العصر الاول (٧٧٠ ق . م - ٤٧٦ ق . م) تدنت سلطة الملك حتى استهان به الامراء وتجروا على شن الحروب الابتزازية لاغتصاب الاراضى ونهب السكان والسيطرة على الامارات ، وكان انغالبا يعقد اجتماعا يحضره الامراء للاعتراف بتفوقه . وظهر خلال هذا العصر من عرفوا باسم « المسيطرون الخمسة » وهم : تشى هوان قونغ امير تشى ، وسونغ شيانغ قوانغ امير سونغ وجين ون قونغ امير جين ، وتشين مو قونغ امير تشين ، وتشو تشوانغ وانغ امير تشو .

زوال نظام « المربعات التسعة »

وفى عصر « الربيع والخريف » توسع استخدام ادوات الحديد كالمعزقة والفأس وكذلك البقر فى الانتاج الزراعى مما رفع تقنية الحرث وحقق مزيدا من التطور للزراعة .

وقد سبق ذلك استصلاح الأرض البور بايلى العبيد المسخرين ، وكانت الاراضى المستصلحة تعتبر « حقولا خاصة » لملك العبيد وكانت الى جانبها حقول « المربعات التسعة » التى تعتبر « الحقول العامة » . وفى عصر « الربيع والخريف » تضاعفت مساحة « الحقول الخاصة » بسبب تطور ادوات الحديد ، وكانت هذه الحقول ملكا خاصا لصاحبها الذى يستولى على كل منتوجها ، ولم يكن هناك نظام للضرائب حتى سنة ٥٩٤ ق . م حين قرر امير « لو » بسبب حاجته الى المال فرض الضريبة على الاراضى الزراعية سواء كانت حقولا خاصة او عامة . وكان هذا اول تشريع لضريبة الارض فى تاريخ الصين . وكان تنفيذ

هذه الشريعة يعنى الاعتراف بملكية اصحاب « الحقوق الخاصة » على الاراضى المستصلحة ، مما ادى بدوره الى تعاظم نفوذ الاستقراطيين . وقد تقاسمت ثلاث اسر استقرائية فى اماره لو ، هى جيسون ومنفسون وشو سون ، حقول « المربعات التسعة » - الحقوق العامة ، و اضافتها الى حقولها الخاصة ، كما حولت العبيد الذين كانوا ملكا للامارة الى ايد عاملة تحت تصرفها ، وكانت تستولى على الجزء الاعظم من محاصيل الحقول وتبقى للفلاحين جزءا يسيرا لقوتهم . وهكذا اصبحت هذه الاسر الاستقرائية اسرا اقطاعية مالكة للاراضى ، وتحول العبيد الذين كانوا يعملون فى حقول « المربعات التسعة » الى فلاحين . ويعنى ذلك تغيرا جذريا فى طرفى علاقة الانتاج ، حل بموجبه الاقطاعيين والفلاحون محل ملاك العبيد والعبيد . جاء هذا التحول فى نهاية سلسلة عديدة من الاحداث والاحداث المضادة استمرت طوال عصر « الزيبج والخريف » . وقد اتهمك الامراء فى حروبهم الابتزازية وتقاوم شغفهم بالقصور ووسائل البذخ ولجأوا فى سبيل ذلك الى مضاعفة استغلال العبيد واعتصار المزيد من جهودهم . ففى اماره ليانغ مثلا ارغم العبيد على تشييد مجموعات من القصور والمباني على مدى سنوات متتالية حتى اخذ الاعياء منهم كل مأخذ وكلت قواهم ، ثم اجبروا سنة ٦٤١ ق . م على حفر الخنادق حول القصور لحمايتها من غزو مزعوم . فلم يكن امام العبيد الا التمرد والهرب مسببين بذلك تخلصا فى وضع الامارة تحيئته اماره تشين فانقضت عليها وابتلعتها .

وفى اماره تشنغ اخذ العبيد يهربون تباعا . ثم تجمعوا عام ٥٢٢ ق . م فى مستنقعات « هوان فو » التى سيطروا عليها واخذوا باستصلاحها لانفسهم ، ونظموا فى اثناء ذلك قوة مسلحة لمقاومة الفلاك السابقين . لكن الامراء لم يمهلهم فقد جهزت لهم حملة عسكرية اطاحت بهم . وفى اواخر هذا العصر تصاعدت نضالات العبيد فى شتى الامارات ، واخذوا بتنظيم حملات مسلحة ضد قصور وقلاع الامراء مستخدمين فى سبيل ذلك مختلف الوسائل كالتسميم والاغراق والاحراق ، حتى تزعزع حكم طبقة ملاك العبيد واصبحت حقولهم قاعا صفصفا لا تنبت غير الاعشاب البرية . وكان من نتائج ذلك زوال نظام المربعات التسعة التى كان زراعتها من العبيد المسخرين وحلب محلها الاقطاعيات التى يعمل فيها الفلاحون . ومن هنا تفكك المجتمع العبودى

وآذن بالزوال ليحل محله مجتمع جديد يقوم على الاقطاع .

العلوم والتقنية

قطع الانتاج الاجتماعى شوطا كبيرا فى طريق التطور خلال عصر « الربيع والخريف » . وتطورت تبعا لذلك معارف جديدة لخصها اهل الفكر من تجارب وممارسات الكادحين خلال الانتاج . وتقدمت حيثذ فروع معرفة عديدة منها الرياضيات التى صارت علما مستقلا . وكان فى المدارس الارستقراطية مادة دراسية باسم « العدد » والمقصود بها الرياضيات . وظهر حينذاك جدول الضرب من خلال عمليات قياس الاراضى واحصاءات السكان والعربات والخيول . ويعتبر هذا الاختراع قفزة كبرى فى الحساب البدائى . وطرحت مسألة العلاقة بين الوتر والضلعين القائمين فى المثلث القائم الزاوية . وقد جاء فى كتاب « تشوبى سوان جينغ » احد المؤلفات الرياضية فى الصين القديمة ان محاسبا يدعى شانغ قاو اشار فى اوائل عصر اسرة تشو الغربية الى « الضلع الصغير برقم ٣ والقاعدة برقم ٤ والوتر برقم ٥ » وهى صيغة مبكرة لما سعى فيما بعد بنظرية فيثاغورس . وحظى الفلك والتقويم بتطور مماثل حيث قدم فلكيو امارة لو مساهمة بارزة فى مضمار الرصد الذى شمل القمر والشمس والنجوم . وقد سجلوا ٣٧ كسوفاً بين سنة ٧٠٢ و ٤٨١ ق . م ثبتت صحة ٣٠ منها . وحددوا مواعيد الانقلابين الشتوى والصيفى . كما رصدوا فى سنة ٦١٣ ق . م مذنباً كان يمر بالنجم القطبى ، وهى اقدم اشارة الى مذنب هالى .

كتاب « الاغانى »

يضم هذا الكتاب ثلاثمئة قصيدة من اقدم مآثورات الادب الصينى كتب معظمها خلال عصر اسرة تشو الغربية وعصر « الربيع والخريف » وخصص منها فصل مستقل للشعر الشعبى بعنوان « قوه فن » . وكان للحكومة موظفون متخصصون يجمع الشعر الشعبى ، يطوفون البلاد فى فصل الربيع لتدوين الاشعار المتداولة فى اوساط الشعب . وتحدث هذه الاشعار عن اوضاع الكادحين فى الانتاج والمعيشة حيث نستطيع ان نقرأ أو نلمس من خلال سطورها صور العبيد الذين يسقون بعرقهم حقولا مترامية الاطراف ، والنساء اللواتى يلملن اوراق التوت من

المنحدرات والضفاف . او نطالع بين الحين والآخر صرخات احتجاج ضد ملك العبيد الارستقراطيين الذين يمتصون دماء العبيد رجالا ونساء . وفيما يلي مقطع من قصيدة بعنوان « الجرز الكبير » تجسد حقد العبيد في اماره وى على الاستغلال الجنونى الذى يقوم به ملك العبيد الارستقراطيون الذين صورتهم القصيدة على شكل جرز كبير جشع . وتعبّر القصيدة عن ارادة الهجرة من حقول الارستقراطيين نحو دنيا جديدة تنقذهم من احوالهم المزرية :

ايها الجرز الكبير ، ايها الجرز الكبير

لا تأكل حبوب ذرتى .

من ثلاث سنوات وانا اغذوك

ولكنك لم تشفق على مرة واحدة

وهكذا سارحل عنك

الى ارض سعيدة

ارض سعيدة . . . ارض سعيدة

أستطيع فيها ان اعيش

وقصائد كتاب الاغاني على اصناف مختلفة منها المراثى الدينية والقصائد القصصية التى تروى بعض احداث التاريخ واشعار الولايم والصيد التى تصف متع الحكام وقصائد اجتماعية عامة تتحدث عن تدهور المجتمع واضطرابه . ويضم الكتاب قصائد واغاني عاطفية وجدائية من النمط المتداول فى اوساط الشعب . وتتمتع الكثير من قصائد هذا الديوان الفخم بجزالة اللغة وجمال القافية وغفوية التعبير . كما تمتاز بواقعية منطلقاتها المستمدة من الحياة اليومية مما يعطيها مكانة رائدة فى مضمار الادب الواقعى .

فكرة لاو تسي

لاو تسي اسمه الحقيقى لى ار . ولد فى اماره تشو فى اواخر حقبة « الربيع والخريف » . كان مسؤولا عن تسجيل الاحداث التاريخية ثم امينا لمكتبة البلاط فى اسرة تشو . وينسب اليه كتاب « الاخلاق » . ونجد فى هذا الكتاب بعض بنور الفكر المادى . فقد ميز لاو تسي فى كل شىء طرفين متناقضين كالوجود واللاوجود ، الحياة والفناء ، والسمو والحقارة ، والاعلى والاسفل ،

القوة والضعف .. الخ . وقال ان كل طرف يتحول الى نقيضه ويتضمنه ،
« الكارثة تتضمن السعادة في ذاتها والسعادة مصدر كارثة خفية » . وكان لـ
تسى حائرا امام تيار التحولات الاجتماعية الجارفة ، وقد دعا الى « السلبية » .

كونفوشيوس — مفكر وتربوي

كونفوشيوس (٥٥١ ق . م — ٤٧٩ ق . م) ولد في امارة لو ، وكان
مسؤولا عن القضاء في امارة لو . وهو مؤسس المدرسة الكونفوشية .
كان كونفوشيوس يهتم بالطقوس ، ويطلب الناس من الالتزام بالنظام
التمثل في « ان يكون الملك ملكا والوزير وزيرا والاب ابا والابن ابنا » ،
وان يكون الوزير مخلصا للملك والابن يطيع الاب . والفتة السفلى تخضع
للفتة العليا .

كان كونفوشيوس يؤكد على « البر » . فقال ان « البر » هو « حب الناس » .
ويطلب من الحكام ان يحبوا الشعب والا يفرطوا في استغلاله لتخفيف التناقض
الطبقى .

كان كونفوشيوس يؤمن بالقضاء والقدر ويرى ان امبراطور السماء يدير
كل شئ في الوجود ، وحياة الناس وموتهم واموالهم ومنزلتهم الاجتماعية كلها
بيده . وليس القدر السماوى الا اوامر هذا الامبراطور وهو يتجسد في ارادة
الحكام . ويجب على الناس ان يخضعوا لمشئة القدر السماوى ومشئة الحكام .
اهتم كونفوشيوس بالتعليم . ففي المجتمع المبودى كانت المؤسسات الحكومية
تحتكر التعليم ولا يستطيع التعلم الا ابناء الارستقراطيين . فانشأ كونفوشيوس
كتاتيب تقبل تلاميذ من الفئات المختلفة ، ففتح بذلك مجالا للدراسة خارج
الهيمنة الرسمية . قيل ان طلاب كونفوشيوس قد وصلوا الى ٣٠٠٠ نسمة بينهم
٧٢ حواريا . وكان كونفوشيوس يتخذ مواضع تدريس متنوعة حسب احوال
الطلاب . وكان يطلب الى تلاميذه ان يستذكروا الدروس السابقة دائما . وكان
يقول : « اكتسب معارف جديدة بعد استذكار الدروس السابقة » وكان ينصحهم
باتباع اسلوب الدراسة الصحيح فيقول : « اذا عرفت قل عرفت وان لا تعرف قل
لا اعرف » كما حثهم على ان يدمجوا الدراسة مع التفكير . وكان كونفوشيوس
يحترق العمل الانتاجي ويعارض ان يدرس طلابه فنون الزراعة وزراعة الخضروات ،

فهذا - في رأيه - عمل «الحقراء» . وحرر كونفوشيوس في شيخوخته كتب «الافغانى» و«التاريخ» و«حوليات الربيع والخريف» وغيرها . وقد لعبت هذه الكتب دورا ايجابيا في الحفاظ على الثقافة القديمة . وقد جمعت احاديث كونفوشيوس في كتاب اسمه «الحوار» . وفيما بعد اصلح الحكام في المجتمع الاقطاعى افكار كونفوشيوس واستخدموها فاصبحت اداة روحية لحماية النظام الاقطاعى واستغلال الشعب .

المؤلفات العسكرية القديمة

سون وو ، الجنرال في امانة وو في اواخر عهد «الربيع والخريف» ، «عسكري» ، كان يجيد تدريب الجنود وقيادة القتال ، وقد ألف كتاب «سون تسي بينغ فا» بعد تلخيصه لتجارب الجيل السابق وتجارب نفسه في القتال . وهو احد اقدم واشهر الكتب العسكرية في العالم . وقد ذكر فيه مبادئ فنية واستراتيجية بصورة مفصلة واهمية تركيز القوة لانتصار على العدو ، وكذلك اكد على ضرورة استقصاء احوال طرفي القتال قبل الحرب ، وهو القائل : «ان كنت على بينة من امر عدوك وامر نفسك فلن تنهزم في اى معركة تخوضها .»

خلال الحروب الطويلة في سبيل السيطرة في حقبة « الربيع والخريف » (٧٧٠ ق . م - ٤٧٦ ق . م) ابتلعت الامارات الكبيرة الامارات الصغيرة ، ولم تبق حتى بداية حقبة « الدويلات المتحاربة » (٤٧٥ ق . م - ٢٢١ ق . م) الا الدويلات السبع المسماة « الكبرى السبع » وهي تشي ، تشو ، يان ، هان ، تشاو ، وي ، تشين . على ان الدويلات السبع لم تتوقف هي الأخرى عن الحروب من اجل اغتصاب مزيد من الاراضى والسكان بصرف النظر عن معاناة الشعب من الكوارث وطموحه الى توحيد البلاد .

بدأ المجتمع الاقطاعى في الصين بحقبة « الدويلات المتحاربة » بعد تمهيد طويل في حقبة « الربيع والخريف » التى شهدت انحلال نظام « المربعات التسعة » وحلول الملكية الاقطاعية للاراضى محل ملكية الدولة المبدئية . واستحوذ الارستقراطيون على مساحة واسعة من الحقول كان من بينها الحقول العامة التى جولوها حقولا خاصة لهم ، بينما حصل القادة العسكريون على مساحات اخرى مكافئة من الملك لمآثرهم في الحروب . وكانت الى جانب هؤلاء فئة التجار

الاثرياء الذين استحوذوا على الاراضى بوسائلهم الخاصة . . وقد استثمرت هذه الاقطاعيات بتأجيرها للفلاحين . وهكذا تشكلت طبقة ملاك الاراضى على اشلاء بسادة العبيد . ومع تعاظم نفوذها الاقتصادى يوما بعد يوم طالبت هذه الطبقة بشطب امتيازات ملاك العبيد الارستقراطيين والنظام القديم والاخذ بنظام سياسى ملائم لتطور الاقتصاد الاقطاعى تحكمه دكتاتورية طبقة الملاكين . وبتأثير هذه الطبقة شنت حملة اصلاحات في شتى الدويلات خلال حقبة « الدويلات المتحاربة » بدأت من وي ، واخذت مداها الابدع في تشين .

اصلاحات شانغ يانغ

كلف تشين شياو قونغ ، ملك تشين ، (٣٦٢ - ٣٣٨ ق . م) شانغ يانغ (؟ - ٣٣٨ ق . م) باعداد خطة للاصلاح سنة ٣٥٩ ق . م . اعلنتها الحكومة بعد ذلك في تشريع ينص على :

الغاء نظام « المربعات التسعة » وادماجها ببعضها بازالة الدروب وعلامات الحدود التي تفصل بينها .

الاعتراف بالملكية الخاصة للارض ، واجازة بيع الاراضى .

مكافأة القادة العسكريين ذوى المآثر في الحروب ، والغاء امتيازات ملاك العبيد الارستقراطيين المتمثلة في الرواتب التي تقرر لهم منذ الولادة ، وتوزيع المناصب عليهم اذا كبروا . وجعل الرواتب والمناصب حسب المآثر العسكرية بصرف النظر عن منشأ اصحابها .

اقامة نظام المحافظات ، وقد نصت هذه المادة على تأسيس ٣١ محافظة في انحاء البلاد ، يعين الملك بنفسه محافظيها .

مكافأة الزراعة والغزل والنسيج حيث نص على اعفاء من ينتج حبوبا وقماشاً اكثر من المحدد ، من السخرة .

ضبط وتحديد اعمال الحرفيين والتجار ، ومنع ترك الزراعة لمزاولة التجارة ، اى تحول المزارع الى تاجر .

وقبل اعلان هذا التشريع كان شانغ يانغ خائفا من رفض الشعب له فدبر الخطة التالية : وضع خشبة طولها عشرة امتار على البوابة الجنوبية للعاصمة والى جنبها بيان بمكافأة لمن ينقل الخشبة الى البوابة الشمالية . ولم يصدق الناس هذا الاعلان فلم يتقدم احد ، وعندها امر شانغ يانغ بزيادة المكافأة الى ٥ اضعاف ما كانت عليه ، فتقدم رجل ونقل الخشبة الى البوابة الشمالية . فوفى له شانغ يانغ بالمكافأة . وكان هذا التدبير يهدف الى اظهار عزمه الراسخ على تنفيذ قوانينه الجديدة .

مع تطبيق اصلاحات شانغ يانغ لفظ النظام المبودى في تشين آخر انفاسه وتقدم النظام الاقطاعي نحو مواقع وطيدة في المجتمع والدولة . وقد جعلت هذه الاصلاحات من دويلة تشين اقوى الولايات السبع سياسيا واقتصاديا .

تطور اقتصاد المجتمع

وطد النظام الاقطاعى الجديد اقدامه بقوة فى الدويلات السبع خلال الاصلاحات التى استغرقت اكثر من مئة سنة . وتححرر الكادحون من قيد النظام المبدى ، الا انهم سرعان ما وقعوا فى اغلال الاقطاع . ومن الواضح مع ذلك ان حالة الفلاحين اصبحت افضل نسبيا من حالة العبيد فى ظل نظام الرق . وكان فى وسر الفلاحين العمل لانفسهم فى اوقات معينة وان يتصرفوا فى جزء من منتوجهم . وعلى سبيل المثال ، كان فلاحو تشين يستأجرون الاراضى من المالك لقاء نصف المنتج ويبقى لهم النصف الآخر ، مما رفع من حماسهم للزراعة ، وفتح دروبا لتطور الانتاج الاجتماعى .

وقد عمت ادوات الحديد والحراث بالبقر احواض النهر الاصفر واليانغتسى فى حقبة « الدويلات المتحاربة » . واستخدم السماد العضوى من القمامات واسمدة الرماد والنباتات كما اتبعت طريقة الحراثة العميقة والبذور المحسنة والبذار المقيّد بمواعيده .

واقامت مشاريع الرى فى شتى الدويلات لتوسيع الحقول المروية والوقاية من الفيضانات والجفاف . ففى تشين انجز مشروع رى متعدد الاغراض سعى « دوجيانيان » على حوض نهر مينجيانغ قرب تشنلو من مقاطعة سيتشوان الحالية ، بادارة لى بينغ الذى كان حاكما للمنطقة . ولعب هذا المشروع دورا عظيما فى السيطرة على تيار النهر العارم ومقاومة الفيضانات ورى الحقول ، وفى تحويل سهول غرب سيتشوان الى حقول خضراء مترامية الاطراف . كما شقت قناة قرب شيانيانغ من مقاطعة شنشى الحالية ، طولها اكثر من ١٥٠ كيلومترا لسقى ٨٠٠٠٠ هكتار فى حوضى جينغشوى وويشوى ، وذلك بادارة تشنغ قوه احد خبراء الرى حينذاك . وقد اسفرت هذه المشاريع عن ارتفاع ملموس فى الانتاج الزراعى . وكانت العائلة المتكونة من خمسة افراد تتمكن من ادارة هكتارين ينتج الواحد منهما ١٢٠٠ كيلوغرام حبوب .

وحققت الحرف والصناعات ، لا سيما صهر الحديد ، مزيدا من التطور . وقد استخدم الحرفيون الفحم النباتى للرقود ، والمنفاخ لرفع حرارة الاتون ، وتمكنوا من صنع الفولاذ والحديد الزهر . وتأسست معامل كبيرة نسبيا يشتمل

فيها مئات الحرفيين . كما تشكلت مراكز لصهر الحديد في الولايات المختلفة أشهرها : مركز وان لدويلة تشو (مدينة نانينغ بمقاطعة خنان) وهاندان ، لدويلة تشاو (مدينة هاندان بمقاطعة خبي) وتانغ شى ، دويلة الهان (في شمال غربى مدينة شيينغ بمقاطعة خنان) . وتطور انتاج الملح ، وكانت تشى ويان تستخلصانه من البحر اما وى وتشاو فمن البرك والغدران . وكان بعض التجار يملكون مصاهر الحديد والملاحات فى آن واحد فجنوا ارباحا هائلة وضعتهم فى مصاف الملوك .

وتقدم الفن الحرفى فانتجت منسوجات الحرير والكتان ، واوانى اللك المرصعة للاطعمة والادوات الموسيقية التى كشفت التنقيبات عن الكثير من بقاياها .

وازدهرت التجارة مع هذا التطور فى الانتاج وصار من الممكن لاسواق بالسهول الوسطى مثلا ان تتعامل بخيول الشمال وعاج الجنوب وسمك الشرق الملح وجلود الحيوان من الغرب . وكان السكان يتركزون فى العواصم ومراكز المواصلات التى تطورت الى مدن كبيرة ذات طابع اقطاعى تمثلت فيها مظاهر الدولة الاقطاعية من الاجهزة الحكومية والقصور الفخمة والاسواق الكبيرة المنظمة ...

تطور العلوم والتقنية

شهدت ميادين العلوم والتقنية منجزات هامة خلال هذه الحقبة منها فى الفلك حيث الف كل من قان ده من دويلة تشو وشى شن من وى كتابا فى الفلك وجمعا فيما بعد فى مجلد سمي « قان - شى شينغ جينغ » ومعناه : كتاب قان شى فى مسارات النجوم . وهو اقدم المؤلفات الفلكية فى العالم . وقد سجلت فيه اسماء ثمانمئة نجم بينها ١٢٠ تم تحديد مواقعها ، ورصدت حركات المشتري والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وحددت قوانين بزوغها وأفولها . كما احتوى المجلد على معطيات تقويمية شملت تقسيم السنة بحسب الفصول واجزائها كالانقلابات (البدايات) الفصلية ومتصفقات الفصول ، مع ما يلحق ذلك من نباتات وطيور موسمية . وأخذ الفلاحون يربون اعمالهم الزراعية حسب هذه المواعيد . وفى الطب تنوعت طرق العلاج فظهرت اقسام الطب الباطنى والجراحى

والنسائي وطب الاطفال . . وتعددت اشكال الادوية فظهرت اللصقات والاشربة والخمر الطبي . ومن اشهر اطباء تلك الحقبة بيان تشيويه (القرن الخامس ق . م) وهو طبيب شعبي كان يتجول بين الدويلات ليقدم الخدمات الطبية للشعب ، وقد استعمل اربع وسائل للتشخيص : النظر (تأمل لون الوجه) ، السمع ، توجيه الاسئلة (سؤال المريض عما يشكوه) وجس النبض . وهى الوسائل التى شاعت فى الطب الصينى التقليدى فيما بعد . اما العلاج فاستخدم فيه بيان تشيويه الخنزير بابر الحجر والمعدن والاشربة والتدليك والكى .

وتقدمت العمارة ، واصبحت اسوار المدن والقصور والمنشآت الاخرى اكثر ارتفاعا ومتانة وجمالا . ومن معماريى هذه الحقبة لوبان الذى ولد بدويلة لولاسلاف توارثوا النجارة . وقد اشتغل منذ طفولته فى مواقع البناء مع اهله فتكسبت لديه خبرات ومهارات وفيرة . وتنسب اليه بعض الاختراعات الهامة كالمشمار والمسطرة .

ومن عسكريى هذه الحقبة سون بينغ وكان مستشار الثان جى الجنرال فى دويلة تشى . وقد ألف كتابا على غرار كتاب سون ووبعنوان «سون بينغ فا» وصلتنا منه فقرات منقوشة على شرائح خيزران استخرجت عام ١٩٧٢ من قبور اسرة الهان الغربية فى وادى جبل ينشيويه (محافظة لينىى - مقاطعة شاندونغ) . وسون بينغ هو صاحب الخدعة المشهورة فى تاريخ العسكرية الصينية باسم «محاصرة وى لانقاذ تشاو» .

مباراة "المدارس المئة"

فى خضم التحولات الكبرى التى شهدتها تاريخ الصين فى هذا العصر طرح الكادحون وملوك الاراضى الناشئون وملوك العبيد المحترضون آراءهم المختلفة انطلاقا من مصالحهم الطبقة المتفاوتة . ومن خلال هذه الطروحات تموجت حركة الفكر وتصاعدت الى مستوى لا مثيل له فى السابق ، متمخضة عن ظهور «المدارس المئة» فى الفلسفة وفى مقدمتها الطاوية والكونفوشية والموهية والشرائية . وقد خاضت هذه المدارس صراعا عنيفا فيما بينها فظهر العديد من الفلاسفة والعديد من المؤلفات للعرض والدفاع والنقد . وفيما يلى لمحة عن بعض هذه المدارس :

الطاوية : من اقطاب الطاويين تشوانغ تسى من حقبة الدويلات المتحاربة

— دويلة سونغ . وينسب اليه كتاب « تشوانغ تسي » . وهو اكثر سلبية من لاول تسي ، كان يرى ان « عدم الفائدة » افضل من « الفائدة » .

الموهبة : مؤسسها موه تسي الذي ولد في عائلة حرفي في اوائل الدويلات المتحاربة وكان يؤيد « التحاب » ، وقد وجه نقدا شديدا لجرائم قتل العبيد لدفعهم مع اسيادهم الموتى . وكان يؤيد انتخاب عناصر كفوءة للادارة على المستويات المختلفة ، ويعارض الحصول على الثراء والمناصب بالوراثة . وكان الموهيون يعيشون حياة متقشفة ، يلبسون ملابس قصيرة واحذية قشية ويتناولون اطعمة بسيطة وهم كدودون محبوبون للعمل .

منشيوس : مثل المدرسة الكونفوشية في اواسط حقبة « الدويلات المتحاربة » ، ولد في دويلة تسو (جنوب محافظة تسو الحالية بمقاطعة شانغونغ ، واسمه الاصل كيه . وكان يبشر بافكار استغلال واضطهاد الطبقة الحاكمة للكاكدين قائلا : ان الذين يعملون بقولهم هم الحكام والذين يعملون بايديهم هم المحكومون ، الحاكمون هم المسؤولون عن تقسيم الارزاق على المحكومين » . وطرح منشيوس فكرة « ان الشعب هو الاهم ثم الدولة ثم الملك » .

شيون تسي : ولد في دويلة تشاو اواخر حقبة الدويلات المتحاربة وزاول التعليم في دويلة تشي وعاش بعض الوقت في تشين ، ثم استقر في شيخونخه في تشو حيث عكف على التأليف . ومن كتبه « شيون تسي » الذي يحمل اسمه . ويعتبر شيون تسي ماديا بقدرما يتعاقد بفهم الطبيعة فهو يرى ان النيازك والمذنبات والعواصف والمطر واختلاف الفصول تغيرات طبيعية تجري وفق قوانين معينة ، وان البشر قادرون على قهر الطبيعة ، ويجب عليهم ان يستغلوا قواهم لهذا الغرض .

هان فيسي تسي : واحد كبار الشرائعيين ، ولد في عائلة ارسقراطية من دويلة الهان في اواخر حقبة الدويلات المتحاربة . كان يرى ان التاريخ يتقدم بلا توقف ، وان العصر الحاضر افضل من العصرين القديم والوسط . ودعا من هنا الى عدم التقيد بالتقاليد العتيقة . وكان يؤيد اقامة دولة اقطاعية مركزية واحلال امراء اقطاعيين يعينهم الملك على كل المستويات محل ملاك العبيد الارستقراطيين ذوي الامتيازات الموروثة . على ان يمسك الملك بسلطة الدولة العليا بنفسه ، مع اختيار الوزراء والقادة العسكريين من بين الذين صمدوا في

اختبارات الممارسة ، وترفعهم بالتدريج بامر منه . وقد اكد على تقوية الحكم بالتشريع ، لا سيما التشريع الجنائي ، الذى يجب اعلانه وتعميمه فى انحاء البلاد . وكان لآرائه تأثير مباشر على الامبراطور تشين شى هوانغ (٢٥٩ ق . م - ٢١٠ ق . م) ويمكن اعتبار الاجراءات السياسية التى نفذت فى دولة تشين بعد توحيدها للصين تطبيقا صارما لهذه الآراء .

شاعر عظيم

من رجال هذه الحقبة تشيوى يوان (حوالى ٣٤٠ ق . م - ٢٧٨ ق . م) وهو من ارسقراطى دويلة تشو المتداعية ، كان يطمح الى اصلاح الدولة لكنه جوبه بمقاومة النبلاء الذين اغروا به الملك فابعدوه عن العاصمة حيث عاش منفيا لمدة طويلة . وقد ساعده وعيه الاجتماعى على معرفة واقع الشعب فعاتف مع قضاياه ويادله السراء والضراء . ويعتبر تشيوى يوان من كبار شعرائنا القدامى وهو مبتكر نمط جديد من الشعر كتبه بلهجة تشو واستمد من اغانيها الشعبية . ومن اهم اعماله قصيدة طويلة بعنوان « لى ساو » كتبها فى منفاه وتتألف من ٣٧٠ بيتا عبر فيها عن قلقه على وطنه وحنينه اليه وضمنها نقدا للتقاليد . وتتمتع القصيدة بلغة جيزة وخيال خصب يعكسان شاعريته المتفردة .

الفنون

قطعت اعمال الفنون شوطا كبيرا فى طريق التطور فى حقبة « اللويلات المتحاربة » ، وتطورت زخارف الادوات البرونزية من خطوط الى رسوم . وقد اكتشف ابريق نحاسى فى مدينة تشنغدو بمقاطعة سيتشوان سنة ١٩٦٥ ، نحتت عليه رسوم مأدبة وقطف اوراق التوت واطلاق السهام والصيد والهجوم على مدينة والقتال البرى والحرب المائية . وكذلك تطورت الموسيقى ووصلت الى مستوى عال . وقد اكتشفت مجموعة كاملة من اجراس نحاسية من ٦٤ قطعة يمكن العزف عليها الحاذقا قديمة وجديدة . وهى تعتبر تحفة نادرة من الفنون الثقافية القديمة .

اسرة تشين — اول دولة اقطاعية موحدة

خلال اكثر من مئة سنة منذ اصلاحات شانغ يانغ طورت دولة تشين قواها الانتاجية وعززت قدراتها العسكرية فاصبح نفوذها يتعاظم يوما بعد يوم . وقد استطاعت ابتلاع دويلات هان ، وى ، تشو ، تشاو فى اواخر حقبة « الدويلات المتحاربة » واستولت على مساحة واسعة من الاراضى ، منتهية عام ٢٥٦ ق . م الى الغاء اسرة تشو الشرقية التى لم يكن لها حينذاك غير وجود اسمى .

بدأ ينغ تشنغ ، ملك تشين ، (٢٥٩ ق . م - ٢١٠ ق . م) الذى استولى على العرش سنة ٢٤٦ ق . م ، حكمه بشن حروب ابتزازية واسعة النطاق افضت خلال عشر سنوات من ٢٣٠ ق . م الى ٢٢١ ق . م الى ابتلاع الدويلتين الباقيتين : يان وتشى بعد الاجهاز على الدويلات الاربع المذكورة . وهكذا توحدت الصين للمرة الاولى وظهرت اسرة تشين ؛ اول دولة اقطاعية موحدة متعددة القوميات فى تاريخ البلاد . وقد جاءت هذه الخطوة فى مسارها التاريخى متجاوبة مع استقرار الحياة وتطور الانتاج الاجتماعى ودفع وتعزيز التبادل الاقتصادى والحضارى بين الاجزاء المختلفة للصين وتحقيق الرغبات المشتركة لشعوب سائر القوميات .

الى جانب ذلك ، قامت دولة تشين بتوحيد مناطق سواحل الجنوب الشرقى وقوانغدونغ وقوانغشى . وكانت تقيم فى هذه المناطق قومية يويه ، احدى الاقليات القومية العريقة التى كانت تتناثر على سواحل الجنوب الشرقى وحوض نهر اللؤلؤ ، وتعيش على الزراعة وصيد السمك . وقد جرى التوحيد بالقوة حيث ارسلت حكومة تشين خمسمئة الف نسمة سنة ٢١٤ ق . م ، الى هذه المناطق للعيش مع الالهالى المحليين ، وضمتها الى الدولة . ثم قامت بتنظيمها اداريا ونقلت اليها

ادوات الحديد الزراعية لأول مرة حيث تطورت زراعتها وتعلم ابنائها مهارات جديدة في هذا المجال .

اجراءات تشين شى هوانغ لتوطيد الوحدة

استحدث ينغ تشنغ بعد سحقه للدويلات الست لقب امبراطور وسمى نفسه « تشين شى هوانغ » - الامبراطور الاول - منطلقا من الاعتقاد ان حكم تشين الاقطاعى سيستمر الى الابد .

امسك تشين شى هوانغ السلطات السياسية والاقتصادية والعسكرية بيده . وكانت الحكومة المركزية تتألف من موظفين كبار اطلقت عليهم اسماء مخصوصة هم : تشنغشانغ ، مسؤول عن مساعدة الامبراطور على ادارة شؤون الدولة ، ويويشيدافو ، مسؤول عن معالجة الوثائق المهمة ومراقبة الموظفين ، وتايوى ، مسؤول عن الشؤون العسكرية ، وتينغويو مسؤول عن شؤون القضاء والسجون . كان الامبراطور يعينهم ويعزلهم بنفسه .

” ووجد الامبراطور الاول نظام المقاطعات والمحافظات - الهيئات الادارية المحلية - قسم البلاد الى ٣٦ مقاطعة ، اصبحت فيما بعد ٤٠ مقاطعة تشتمل كل واحدة على عدة محافظات . ويعين الامبراطور ويعزل بنفسه ولاة المقاطعات والمحافظين الذين تولوا جباية الضرائب وتنفيذ اعمال التجنيد والسخرة . وقد لعب هذا النظام ، نظام السلطة المركزية ، الذى اقامته اسرة تشين دورا ايجابيا في توحيد الصين وتنظيم تطورها الاقتصادى من خلال توطيد وحدة الدولة الاقطاعية الاولى .

وعزز الامبراطور تشين شى هوانغ الملكية الاقطاعية للاراضى في انحاء البلاد معتمدا على قوة السلطة حين اصدر تشريعا لزم كلا من الملاكين والفلاحين بتسجيل ما بحوزتهم من الاراضى ودفع الضرائب حسب المساحة المسجلة كوسيلة لاكتساب الملكية اساسها الشرعى .

وتم توحيد النقد والمقاييس والمكاييل والموازين وتحديد عياراتها على نطاق البلاد . وقد شاع شكل عملة تشين المستديرة ذات الثقب المربع في الوسط في نقود الاسر اللاحقة . كما امر تشين شى هوانغ بتوحيد الكتابة على اساس خط « شياو تشوان » المبسط . وقامت حكومة تشين في نفس الوقت بشق الطرق

الواسعة المؤدية الى انحاء البلاد من العاصمة شيانباغ بمقاطعة شنشى ، كما شقت القنوات وطورت المواصلات المائية معززة بذلك التبادلات الاقتصادية والثقافية بين القوميات والمناطق وموطدة وحدة دولتها الاقطاعية .

توحيد الكتابة

اسماء الدويلات	تشين	تشى	تشو	هان تشاو وى	يان
المقاطع المختلفة لكلمة « حصان » قبل التوحيد					

كلمة « حصان » بخط
« شيان تشوان » بعد التوحيد



تعرضت التجديدات التى اتخذتها حكومة تشين ، لا سيما نظام المقاطعات والمحافظات ، لمعارضة الكونفوشيين الذين استخدموا الكتب القديمة للتنبيد باجراءات الحكومة . وخوفا من تأثير هذه المعارضة على مستقبل الدولة الاقطاعية شن لى سى ، الوزير الاكبر ، (؟ - ٢٠٨ ق . م) حملة ضد الكونفوشيين اذنت الى احراق جميع السجلات التاريخية والكتب المنتشرة فى اوساط الشعب ومؤلفات « المدارس المئة » باستثناء السجلات التاريخية لدولة تشين . وقد جرى ذلك باقتراح من الوزير وموافقة الامبراطور الاول ، الذى امر فى السنة التالية باعتقال اكثر من ٤٠٠ كونفوشى ودفنهم احياء .

سور الصين العظيم

انتهزت اقلية شيونغنو القومية التى كانت تقيم فى الهضبة المنغولية بشمال البلاد سنى الصراع الدموى بين الدويلات السبع فمزرت قوتها واحتلت سهول

المجتمع البدائي

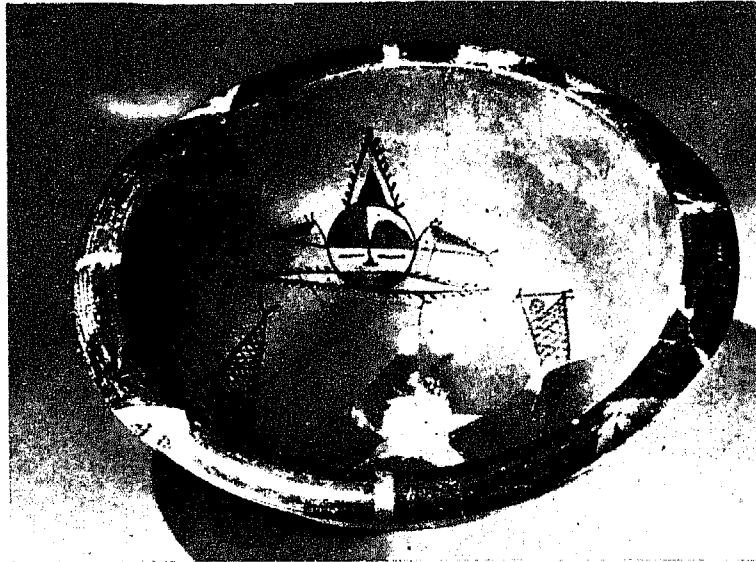
تمثال رأس لامرأة — انسان بكن



جبل لونغقو في تشوكوديان — اكتشاف فيه انسان بكن



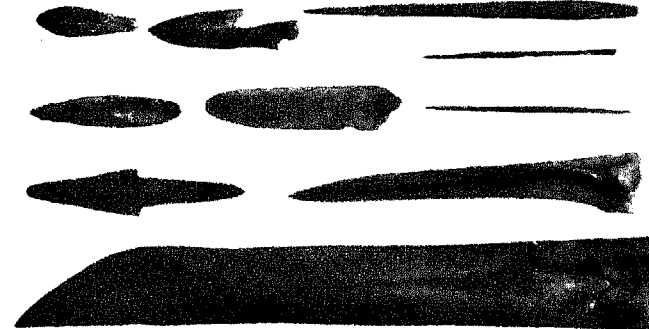
انسان بكين يجمع الطعام



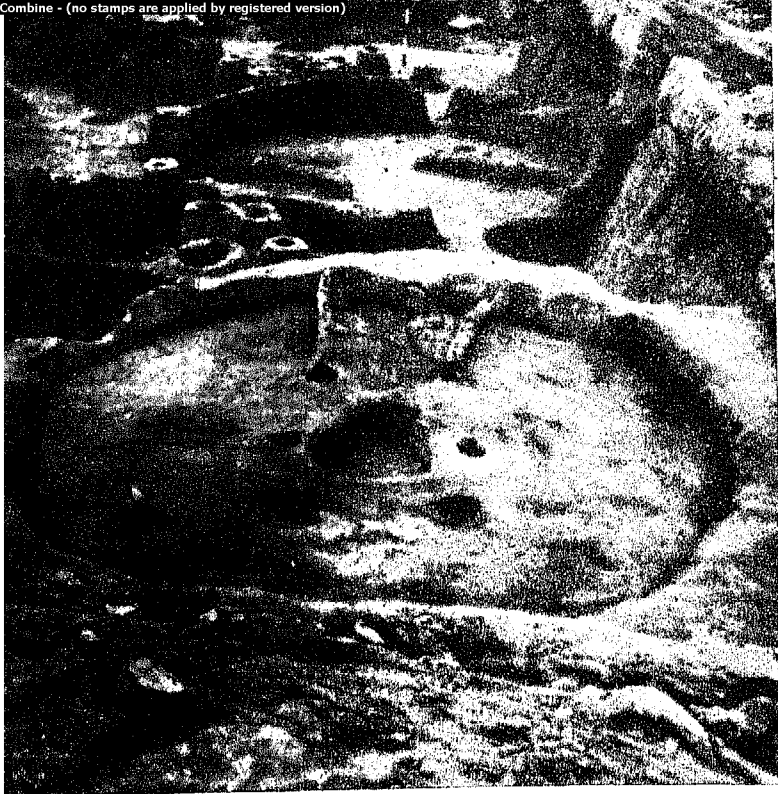
طشت فخاري ملون عليه تصاميم لوجه الانسان والسماك



مخلفات النار في احد كهوف تشوكوديان قرب بكين . من الرماد (اليسار)
والعظام المحروقة (الوسط) والاحجار



ادوات عظمية : رأس سهم وسنارة صيد السمك واير ومثقاب



الفخاريات المكتشفة في اطلال حمدو . . اليسار :
وعاء فخاري ، اليمين : موقد ثلاثي القوائم

اطلال المجتمع البدائي في حمدو بمحافظة يوباو — مقاطعة تشجيانغ

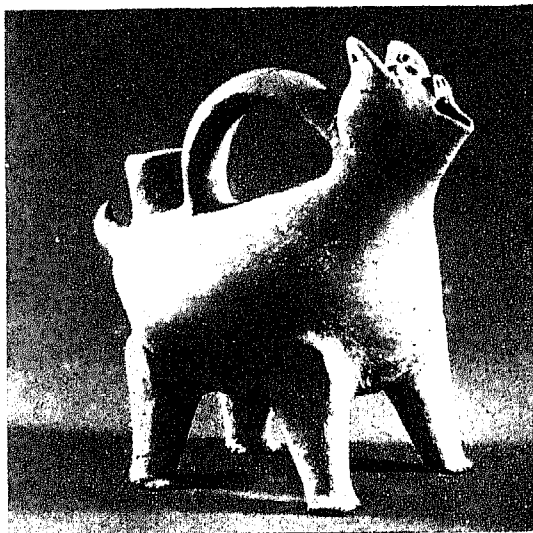
قواعد غرفة دائرية الشكل
وحفر أعمدة وموقد اكتشفت
في اطلال قرية بانبوه



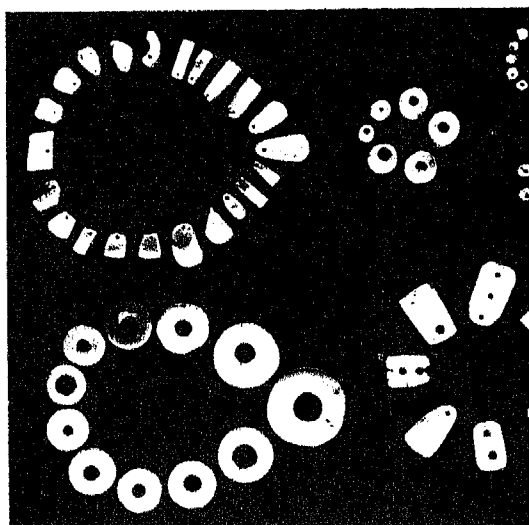
الرز المكتشف في عمدة



ادوات انتاج حجرية اكتشفت من اطلال عمدة . .
تدل على ظهور فن الصقل في ذلك الزمن



ي احمر على شكل الحيوان اكتشف في داونكو

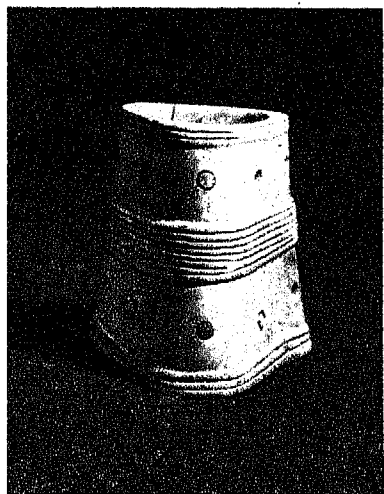


حلبة

الامبراطور هوانغ دى



مشط من العاج



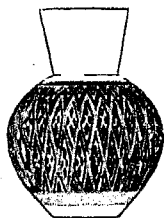
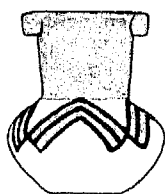
وعاء منحوت على العظام



الامبراطور شون

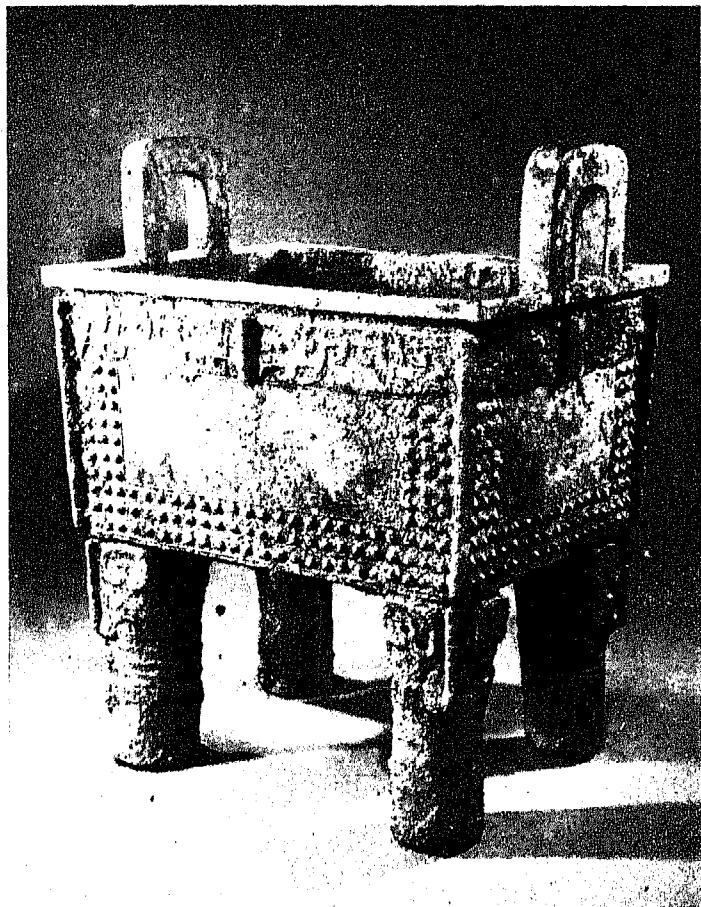


الامبراطور يار

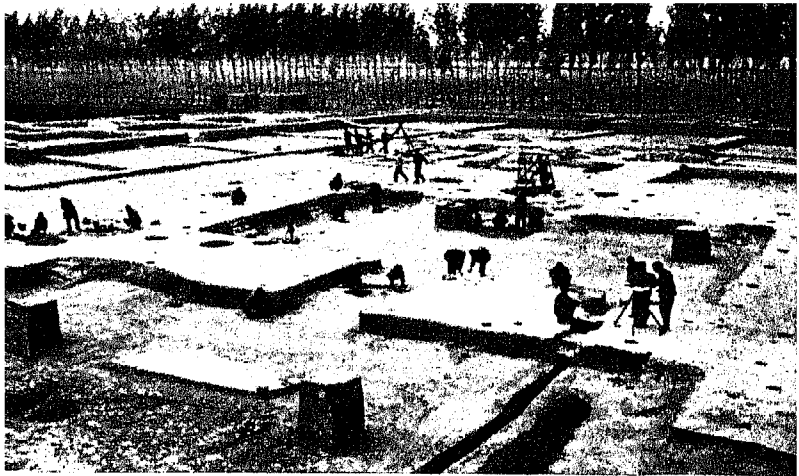


اوعية فخارية ملونة

المجتمع العبودى



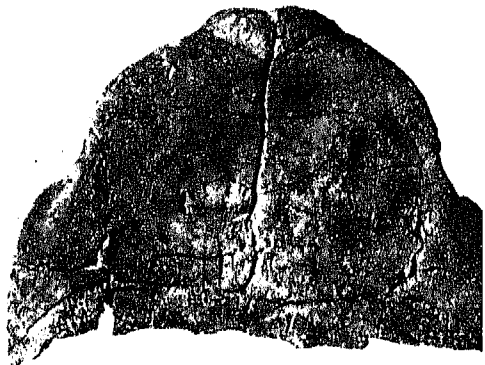
وعاء طهو مربع من البرونز بارتفاع ٨٠ سم ...
اكتشف في مقبرة ملاك العبيد — يرجع الى اسرة شانغ



اساسات قصور من عهد اسرة تشو اكتشفت بمحافظة تشيشيان ، مقاطعة شنشى



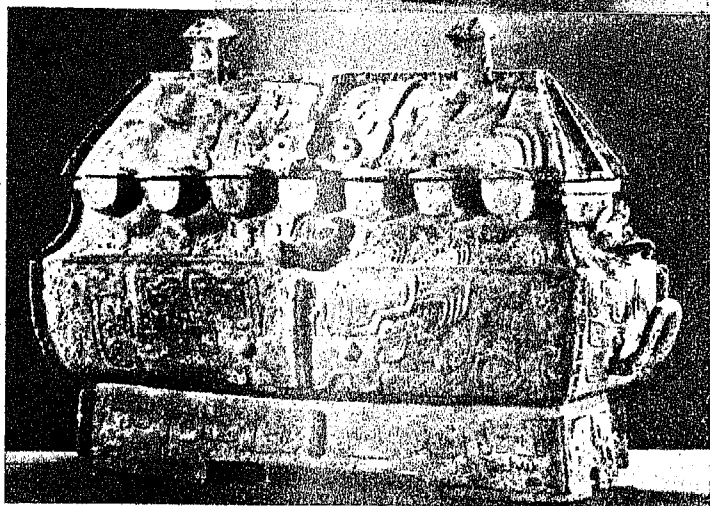
درع سلحفاه اكتشف عام ١٩٧٣ فى آيانغ ،
مقاطعة شنان ، وعليه ٥٦ مقطعا مقسمة الى
مجموعات كتبه وودينغ ، احد ملوك اسرة شانغ



لوح من عظم البقر نحت عليه ١٣٤ مقطعا مقسمة
الى ١٦ مجموعة كتبها ون دينغ آخر ملوك اسرة
شانغ



البرونزيات





برونزيات مكتشفة في محافظة فوفنغ ، مقاطعة شنشي — ترجع الى اسرة تشو الغربية



الرسوم على البرونزيات

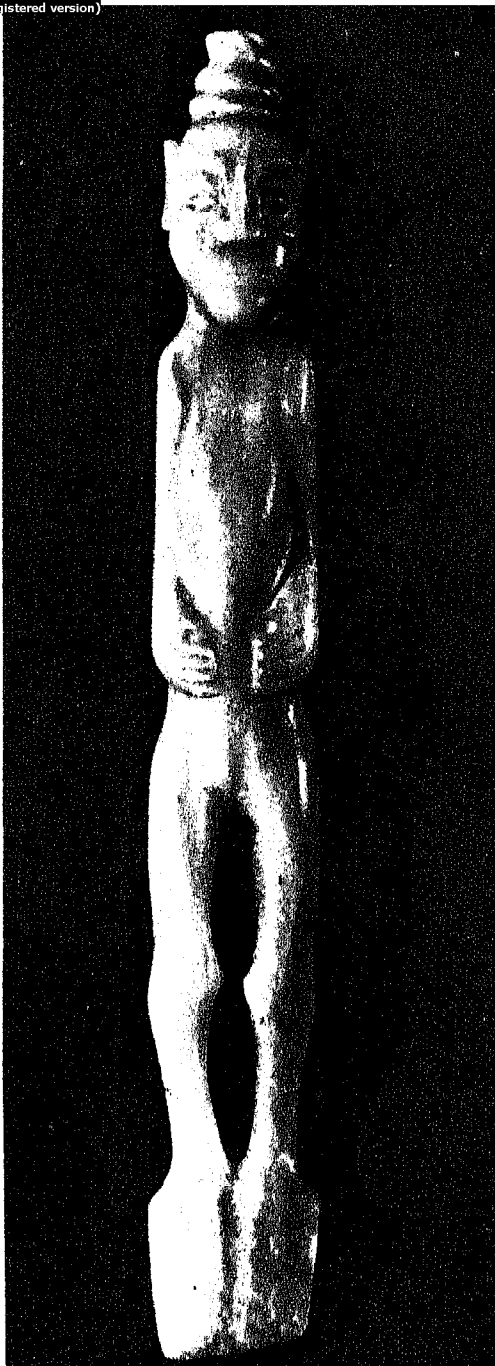


صحن مصنوع في دويلة وى من عهد اسرة تشو الغربية يسمى « صحن تشيانغ » وهو اسم رجل من قومية وى التى ذكر انها اشتركت في الهجوم الذى قام به تشو وو وانغ على اسرة شانغ . ولهذا الصحن قيمة كبيرة في دراسة تاريخ هذه الدويلة وعلاقتها مع اسرة تشو الغربية



قبر لـاحد ملاك العبيد اكتشف في قرية ووقوان — مقاطعة خنان ، طوله من الجنوب الى الشمال ٤٥ مترا وعرضه من الشرق الى الغرب ١٢ مترا وعمقه ٨ر٤ مترا . وقد اكتشف فيه ٧٩ عبدا قدموا قرايين

مجرّف يشمى يرجع الى
اوائل اسرة تشو الغربية
اكتشف في محافظة
لينغتاى — مقاطعة قانسو
وعليه صورة عبد



عهد الربع والحريف



وعاء برونزی يعرف باسم تشين قونغ وو



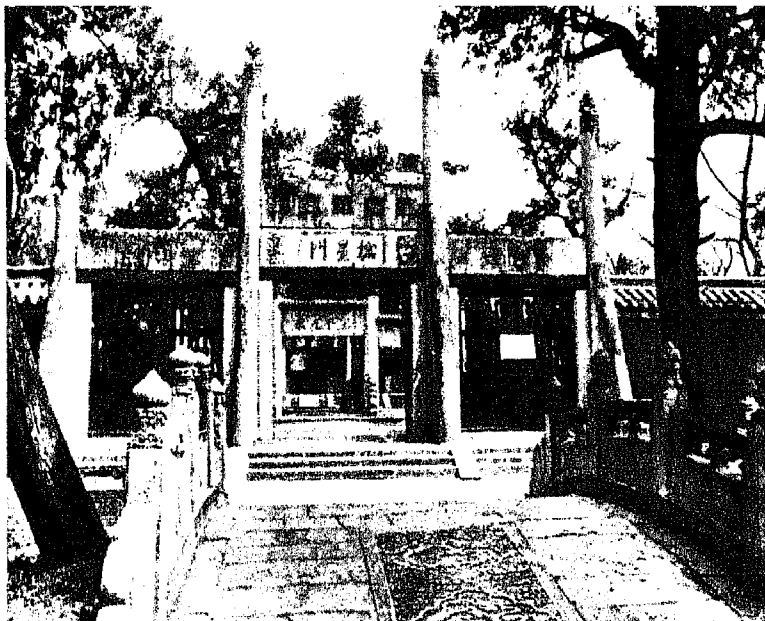
كونفوشيوس يلقى درسا



صورة الحكماء الثلاثة (كونفوشيوس في الوسط مع اثنين من تلاميذه)



سيف من اواخر عهد « الربيع والحريف » استخرج في
مدينة تشا نغشا — مقاطعة هونان



بوابة لينغشينغ — امام معبد كونفوشيوس في تشيويغو — مقاطعة شانغونغ بداية
الاجتماع الاقطاعي (حقبة الدولات المتحاربة) :

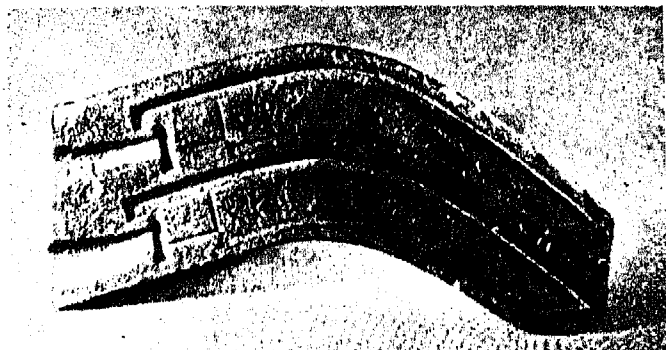
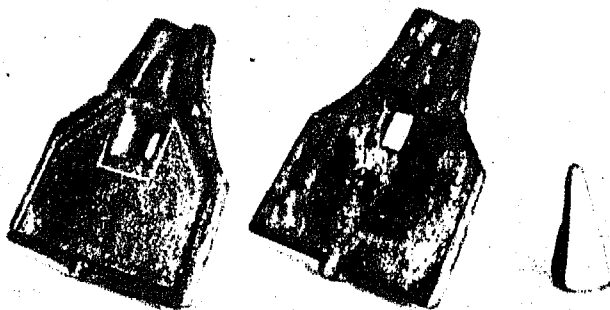
عهد الممالك المتحاربة



الغاء نظام « المربعات التسعة » وازالة الدروب والحدود التي تفصل بينها

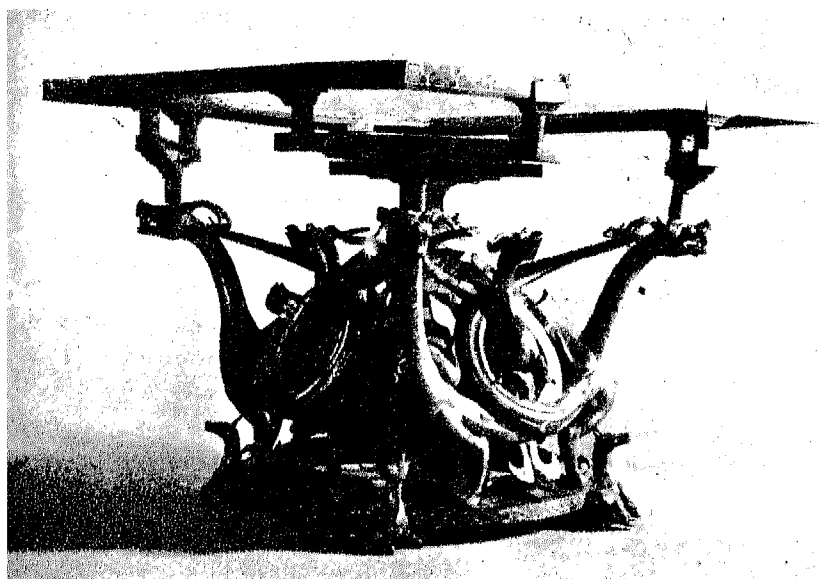


حاجز عشي عليه صور لكبة ملونة من عهد الدويلات المتحاربة



قوالب حديدية لصب المعزقة والمنجل من عهد الدويلات المتحاربة

صورة تشيوي يوان

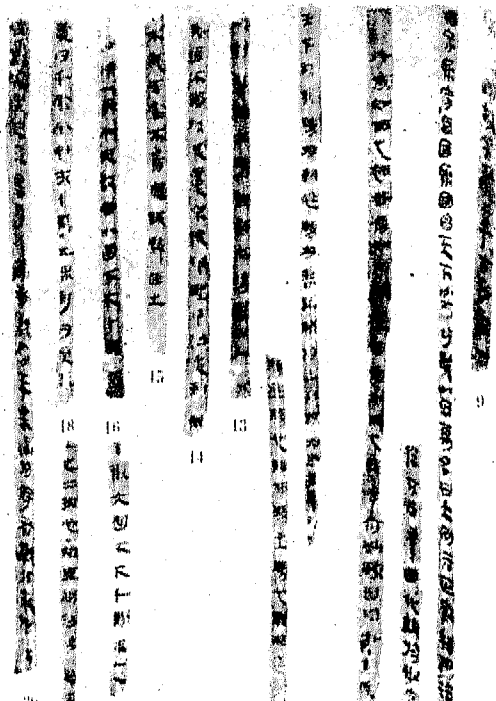


حامل نحاسي من عهد الدويلات المتعاقبة اكتشف
في محافظة بينغشيان — مقاطعة خبي



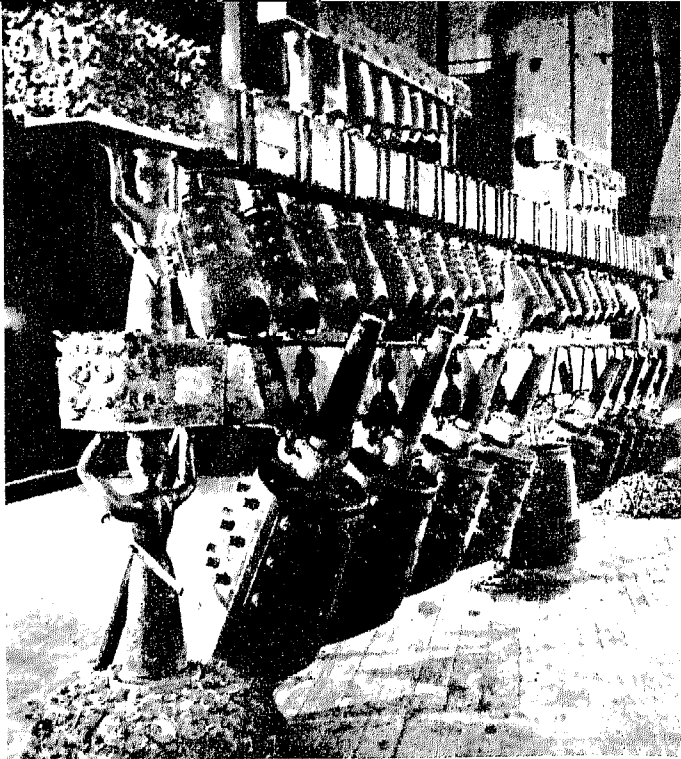
لى بيسنغ — تمثال
حجرى من أسرة الهان
الشرقية اكتشف عام
١٩٧٤ فى سيتشوان

شذرات من كتابى « سون
تسى بينغ فا » و « سون بين
بينغ فا » منقوشة على
شريحة عييزان عثر عليها فى
قبور أسرة الهان الغربية
الواقعة فى مقاطعة شاندونغ





عاء نحاسى مع غطاء عليه صورة حيوان اكتشف فى محافظة قانى — مقاطعة جيانغسو



سلسلة الاجراس الموسيقية



«فو» — نوع من الاجراس

«يونغ» نوع من الاجراس





تصاميم على الأدوات البرونزية المجتمع الاقطاعي
(اسرة تشين — الاسرة الشمالية والجنوبية)

المجتمع الاقطاعي

اسرة تشين الملكية

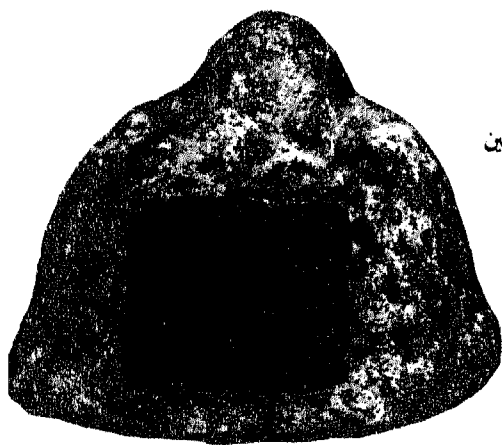


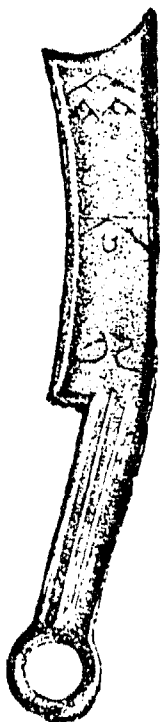
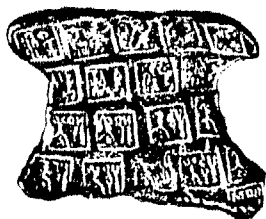
الامبراطور الاول تشين شي هوانغ

العيار الحديدى لاسرة تشين



العيار النحاسى لاسرة تشين





نقد اسرة تشين المستدير ذو النقب
المربع (الوسط) ونقد دويلة تشى على
شكل السكين (اليسار) ونقد دويلة
تشا وبشكل المنجرفة (الاعلى الى
اليمن) ونقد تشو مربع الشكل

شرايح غيوزانية نحتت عليها نصوص
القوانين والاوزاع الاجتماعية في عهد
الامبراطور تشين شى هوانغ في أسرة
تشين (٢٠٦ - ٢٢١ ق.م.)
محفورة من مقاطعة هوى

年上黄一甲不盜二

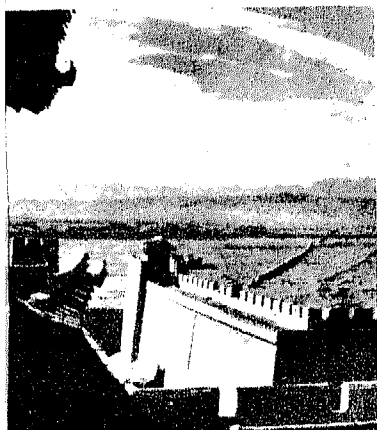
如南番夫其也勿更

南番夫勿更其費不

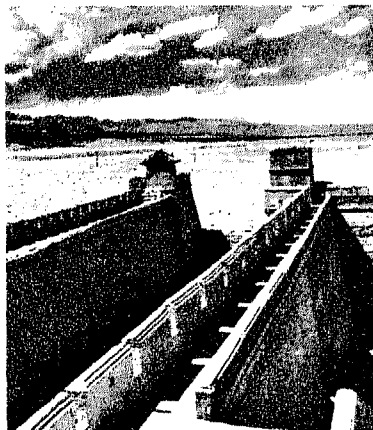
سور الصين العظيم



جواسق بوابة جيايوى



قلعة بوابة جيايوى





مركبة نحاسية مع خيولها النحاسية ..
اكتشفت في ضريح الامبراطور تشين
شى هوانغ



الحوذي الملون يجلس على
مقعده بمسك العنان بيديه



تمثال قواس



تمائيل الحاربين والحيلوك . . عثر عليها في ضريح
الامبراطور تشين شي هوانغ في شنشي



قسم مأخوذ من رسم قصر أوفان الذى أنشئ فى عهد أسرة تشين . . الرسم فى أسرة مينغ



مشهد من أول انتفاضة فلاحية فى تاريخ الصين . . ثارت تحت قيادة
تشن شين ووو قوانغ من قرية تايينغ

ختاو . وكانت خيول هذه القومية تغير تحت قيادة ملاك العبيد الارستقراطيين على دويلات تشين ، تشاو ، يان لاجل النهب مما اضطر هذه الدويلات الى اقامة اسوار عند حدودها الشمالية تحرسها قواتها المسلحة .

وبعد توحيد دويلة تشين للبلاد واصلت قوات شيونغنو تهديد امن الشمال ، فارسلت الحكومة جيشا بقيادة منغ تيان قوامه ثلاثمئة الف توغل في سهول ختاو واستولى عليها . ولتعزيز الدفاع عن هذه المنطقة اقامت حكومة تشين فيها عددا من المدن و٤٤ محافظة وهجرت اليها السكان من داخل البلاد . وفي نفس الوقت جند تشين شى هوانغ الفلاحين لبناء سور دفاعى متين يمر من خلال الاسوار التى اقامتها دويلات تشين وتشاو ويان ، بعد ان رمت وربطت ببعضها واضيفت اليها امتدادات الى جهتي الغرب والشرق . وهذا هو سور الصين العظيم الذى يبدأ غربا من لينتاو (محافظة مينشيان بمقاطعة قانسو اليوم) ويمتد شرقا الى لياودونغ (في شمال غربى لياويانغ بمقاطعة لياونينغ اليوم) ، ويبلغ طوله ٢٥٠٠ كيلومتر . وقد رمم الكادحون ووسعوا هذا السور مرات عديدة خلال العصور . والبناء القائم حاليا وصلنا من اسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤) وهو يبدأ غربا من جياويوقوان ويمتد شرقا الى شانهايقوان ويبلغ طوله اكثر من ٦٠٠٠ كيلومتر .

حكم تشين الاستبدادى

كلف دولة تشين الشعب اعباء باهظة اذ كان على الفلاحين تسليم ثلثى محاصيلهم الى الحكومة كضرائب بالاضافة الى ما عليهم من الخدمات العسكرية والسخرة . وقد اقام تشين شى هوانغ اكثر من ١٤٠ مجموعة قصور بشمال العاصمة على غرار قصور الدويلات الست ، وسخر اكثر من سبعة الف شخص لبناء قصور آفانغ وضريحه بقرب تشافغان (قرب شيآن بمقاطعة شنشى الحالية) . . اكتشف عام ١٩٧٤ اكثر من ٦٠٠٠ قطعة من تماثيل الجنود والخيول في الجانب الشرقى من مقبرة الامبراطور تشين شى هوانغ . ومع ان سكان دولة تشين لم يتجاوز العشرين مليونا فقد تجاوز عدد المجندين لبناء القصور والضريح والسور العظيم وحراسة المناطق الحدودية المليون والنصف .

ونظرا لشمول الخدمة العسكرية الشباب والكهول من الرجال فقد اجبرت النساء على نقل الامدادات العسكرية .

وكانت قوانين اسرة تشين قاسية جدا : اخذ المائلة بجريرة فرد واحد منها ، واخذ الجار بالجار . وحين تبوأ الامبراطور الثانى (٢٣٠ ق . م - ٢٠٧ ق . م) ، العرش سنة ٢١٠ ق . م شدد من الاعباء كالسخرة ، ومن العقوبات التى شملت قطع القدم والانف ، والاعدام .

اول حرب فلاحية

ادت هذه السياسة الى خراب الانتاج الاجتماعى والقاء الشعب فى هاوية الفقر ، مما عمق التناحر الطبقي بين الحكام الاقطاعيين والفلاحين . وحدث فى شهر يوليو من عام ٢٠٩ ق . م ان سيق ٩٠٠ فلاح فقير الى السور العظيم فى موقع يويانغ (محافظة ميون قرب بكين) . وعندما مرت قافلة الفلاحين بداتسهشيانغ من محافظة تشيشيان (جنوب شرقى محافظة سوشيان بمقاطعة آنهوى) هطل مطر غزير وتطل الطريق فتعذر على القافلة مواصلة السير . وكان ذلك يعنى عدم الوصول الى يويانغ فى الموعد المحدد ، وهى جريمة يعاقب عليها القانون بالاعدام . وعندها اجتمع العريفان تشن شنغ (؟ - ٢٠٨ ق . م) و وو قوانغ (؟ - ٢٠٨ ق . م) اللذان كانا يخططان للتمرد ببعضهما فقال تشن : « ان اللهاب الى يويانغ يؤدى الى الموت ، والهرب يؤدى الى الموت ، والتمرد يؤدى الى الموت على الاكثر ، واظن ان الموت فى التمرد افضل . » واعلنا خطة التمرد بقتل ضابطين من القافلة . ثم وقف تشن شنغ يخاطب الفلاحين ويحثهم على التحرك : « ان الملوك والامراء والقادة ليسوا افضل منكم . » وتحمس الجميع فرفعوا راية الانتفاضة . وكان سلاح الفلاحين الهراوات لكنهم اقسما على الاطاحة بحكم اسرة تشين . وهكذا اشتعل فى داتسهشيانغ لهيب اول حرب فلاحية فى تاريخ الصين .

استولت قوات الانتفاضة على داتسهشيانغ ، ثم على محافظة تشيشيان وعدد من حواضر المحافظات المجاورة وانضم اليها الفلاحون افواجا . ولم يمض الا شهر واحد حتى اصبحت قوة كبيرة تتألف من حوالى ستمئة او سبعمئة عربية حربية واكثر من الف فارس وعشرات الآلاف من المشاة . وكانت

الانتفاضة تتعاضد وتتقدم حتى احتلت محافظة تشنشيان (محافظة هوايانغ الحالية بمقاطعة خنان) ، واقامت اول سلطة فلاحية - تشانغتشو - في تاريخ الصين . واخذ تشن شنغ ووو قوانغ بايفاد المبعوثين الى مناطق شمال النهر الاصفر وشبه جزيرة شانلونغ وحوض اليانغتسى الاوسط للعمل على تطوير القوى المعارضة لاسرة تشين ، فهب الفلاحون في معظم محافظات هذه المناطق لقتل الولاة والمحافظين والاستيلاء على الحواضر الهامة . ثم كلف تشن شنغ صاحبه وو قوانغ بقيادة الهجوم على شينغيانغ وهى مدينة عسكرية هامة (في شمال شينغيانغ الشرقى بمقاطعة خنان) وعهد الى قائد آخر اسمه تشو ون بقيادة الهجوم على قوانتشونغ - قلب الدولة . وفي طريق زحفه اليها عمل تشو ون على زيادة قواته فانضم اليها عشرات الالاف من المحاربين . واندفعت القوة بسرعة حتى وصلت الى مكان يبعد عن العاصمة شيانغيانغ خمسين كيلومترا وذلك في سبتمبر من نفس السنة . وبلغت انباء الزحف الامبراطور الثانى فاستولى عليه الذعر والارتباك . ولعدم قدرته على تجميع قواته بالسرعة المطلوبة سلح العاملين في بناء الضريح ، وكلف قائده تشانغ هان بقيادتهم في الهجوم المضاد . وجرت معارك طاحنة لمدة شهرين اسفرت عن هزيمة تشو ون ، وقتل وو قوانغ على يد احد المتآمرين . ثم هاجمت قوات تشين محافظة تشنشيان ، وبينما كان تشن شنغ يقود قواته لمجابهة الهجوم اغتاله سائق عربته . ولكن قوات الانتفاضة التى يقودها ليوى تشن ، احد ضباط تشن شنغ ، شنت هجوها المضاد على قوات تشين فاسترجعت محافظة تشنشيان واعدمت الخائن الذى اغتال تشن شنغ . ثم اتحدت مع فصائل اخرى من الثائرين لمواصلة النضال .

زوال اسرة تشين

وبالرغم من قتل تشن شنغ ووو قوانغ فان جذوة الثورة الفلاحية التى قادها لم تخبذ بل تعاضدت بمرور الايام ، وانتهت الى ظهور قوتين جديدتين بقيادة ليوبانغ (٢٥٦ ق . م - ١٩٥ ق . م) وشيانغ يوى (٢٣٢ ق . م - ٢٠٢ ق . م) وكان الاول موظفا صغيرا في اسرة تشين . اما شيانغ يوى فهو من عائلة ارسقراطية بدوية تشو ، تمرد مع عمه شيانغ ليانغ على اسرة تشين في موقع وو (سوتشو بمقاطعة جيانغسو) وذلك في شهر سبتمبر سنة ٢٠٩ ق . م .

ثم تبعه ليو بانغ الذى تمرد فى محافظة بي شيان (محافظة بي شيان بمقاطعة جيانغسو) .
 وفى سنة ٢٠٧ ق . م تغلبت قوات شيانغ يوى على القوات الرئيسية لأسرة تشين
 بقيادة تشانغ هان الذى استسلم مع جنوده لشيانغ يوى . وفى السنة التالية احتلت
 قوات ليو بانغ عاصمة أسرة تشين معلنة زوالها النهائى . واقتسم شيانغ يوى
 السلطة مع ليو بانغ ، فاتخذ لنفسه لقب « ملك تشو الغربية المسيطر » وأعطى
 ليو بانغ لقب ملك الهان . ومن أجل ابتزاز ثمار الحرب الفلاحية واغتصاب
 العرش نشبت حرب تشو - هان التى استمرت اربع سنوات بين شيانغ يوى
 وليو بانغ وانتهت بانتصار الاخير حيث قامت اسرة الهان الغربية ، واصبح
 ليو بانغ الامبراطور هان قاو تسو ، اى الامبراطور الاول للهان وذلك فى
 سنة ٢٠٢ ق . م . وقد اتخذ من تشانغآن عاصمة للامبراطورية الجديدة . وهى
 أسرة الهان الغربية فى تاريخ الصين .

أسرة الهان الغربية

كان ليو بانغ (٢٥٦ - ١٩٥ ق . م) زعيما لاجدى وحدات جيش الانتفاضة الفلاحية ، فى أواخر أسرة تشين ، ثم أقام بعد أن تكللت الحرب بنصره النهائى أسرة الهان الغربية (٢٠٦ ق . م - ٢٤٤ م) ، وأصبح أول أباطرتها . وقد سار فى بداية حكمه وفق التنظيمات السياسية لكتاتورية تشين المركزية الاقطاعية ، قبل ان يجرى عليها التعديلات التى تلائم مصالح دولته ثم يردفها بسن قوانين جديدة لتدعيم حكمه الاقطاعى .

تعديل وتعزيز السياسة العامة للدولة

استهلكت الحرب الطويلة كميات مذهلة من الثروات الاجتماعية ، فحدثت ركودا اقتصاديا فى جميع القطاعات ، وتضاعف سعر الغلال ، وازداد الشعب فقرا وجوعا ، حتى لم يكن هناك أربعة خيل متشابهة الالوان لعربة الامبراطور ولم يقدر وزراؤه على اكثر من العربة التى تجرها الابقار . ولعلاج هذا الانهيار طرح لو جيا مستشار الامبراطور هان قاو تسو خطته قائلا : كنا نعتمد فى الدرجة الاولى على القوة العسكرية لاقامة سلطتنا ؛ أما اليوم وبعد انتزاع هذه السلطة فان الجيش وحده لا يكفى اذ أننا بحاجة أيضا الى النظام القانونى الذى يتطلبه استقرار وتدعيم سلطات الدولة . وحلل لو جيا فى هذه المناسبة أسباب انهيار أسرة تشين فقال : كان الشعب يعانى الاستغلال الاقتصادى القاسى والاضطهاد السياسى الفظيع على يد الطبقة الحاكمة التى تجاوزت حتى حدود قوانينها القاسية ، فدفعت الناس الى مقاومتها لكن أسرة تشين جابهت المقاومة بالقمع الدموى مستخدمة قواتها المسلحة الضاربة دون ان تعى حقيقة ان القمع لا يؤدى الا الى اشتداد المقاومة . وقد ترتب على ذلك تفكك الدولة التى دامت حوالى ١٥ سنة فقط . ومن هنا بين المستشار الحصيف أن السلطة الجديدة

في أمس الحاجة الى سياسة تقوم على تطوير الانتاج الزراعى ، كوسيلة أساسية لمعالجة الانهيار الاقتصادى وتغطية حاجات الناس . وقد لقيت ملاحظاته تفهما من الامبراطور .

وعلى هذا الاساس شرع الوزير الاكبر شياو خه قانونا استمدته من قوانين تشين للضرائب والسخرة والتجنيد وغيرها عرف بالقانون ذى التسعة أبواب ، وهي الاقسام التى اشتمل عليها . كما سنت انظمة لقياسات الحقول وتحديد الجبايات الزراعية على يد مسئول المالية تشانغ تسانغ . وطبق شياو خه نظام التسجيل السكانى الذى حظر الانتقال الحر على الفلاحين وبعض ملاك الاراضى والموظفين الصغار ، واجبر الذين تركوا اراضيهم على السخرة للسلطات المحلية بوصفهم اقنانا . وفى سياق ذلك فرضت على الشعب جملة من الاعباء شملت الأبواب الاربعة التالية : أ - ضريبة الارض الزراعية ، وكانت بنسبة ١ / ١٥ من المنتج ثم انخفضت الى ١ / ٣٠ وتستخدم حصيلتها لتغطية نفقات ادارة شؤون الدولة .

ب - ضريبة الرأس : تفرض على المواطنين بنسبتين : الاولى لمن تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٤ والثانية لمن هم بين ١٥ و ٥٦ . وتستخدم حصيلة هذه الضريبة لسد النفقات العسكرية .

ج - السخرة : تفرض على الرجال ما بين ٢٣ و ٥٦ ، وتشمل بناء المدن والقصور وحفر قنوات الري وتمهيد الطرق وانشاء المقابر الامبراطورية ومدتها شهر واحد كل عام . ويعفى من السخرة من يدفع بدلا نقديا .

د - التجنيد : يجب على كل رجل ما بين ٢٣ و ٥٦ سنة ، ومدته مستان يقضى احدهما فى بلدته والاخرى خارجها .

ورغم هذه الاعباء فقد جلب النظام القانونى الجديد الذى وضعه شياو خه بعض التحسن لمعيشة الكادحين ، بالمقارنة مع ما عاناه من مظالم أسرة تشين .

الانتاج الزراعى يتطور بسرعة

عنى تساو تسان الذى خلف شياو خه فى الوزارة بتطوير الانتاج الزراعى واعطاءه الاسبقية على سائر الاعمال ، وخير مثال على ذلك ، جعل العمل فى

بناء مدينة تشانغآن - عاصمة أسرة الهان الغربية قاصرا على مواسم الفراغ من الزراعة . وكان الاباطرة في أوائل هذه الاسرة معنيين بالزراعة وتربية دود القز ، وقد اصدر الامبراطور هان جينغ دى - حفيد الامبراطور الاول قاو تسو منشورا قال فيه : « لا يمكن أن يحل الذهب واليشب والمجوهرات رغم غلائها وندرتهما محل التلال والكتان والحريز ، فينبغى على الموظفين المحليين أن يحشوا الناس على زيادة دود القز واستصلاح الأراضي البور » . وبالطبع فان الهدف الجوهرى من ذلك هو تنمية اقتصاد الطبقة المستغلة ورفع ايراداتها .

وقد احرزت الزراعة في أوائل هذه الاسرة تقدما ملحوظا ، وفي أواخر عهد الامبراطور جينغ دى كانت الدولة تملك كميات طائلة من احتياطات الحبوب والاموال . وبلغ الازدهار الاقتصادى ذروته في أواسط الاسرة ، أى في الحقبة ما بين ١٤٠ - ٨٧ ق . م وهى مدة حكم الامبراطور هان وو دى (١٥٦ - ٨٧ ق . م) . وتعمم استعمال الخيل والبقر للحراثة فيما بين بحر بوهاى الى ممرات خشى بمقاطعة قانسو ، ومن السور العظيم الى نهر اليانغتسى . واخذت أجهزة الحديد تحل تبعا لذلك محل الادوات البدائية ، ومنها المحراث الحديدى ، ٤٠ سم طولاً و ٤٢ سم عرضاً ، كما أنشئت مشروعات الرى على نطاق البلاد ، ومنها مشروع قناة تشنغقو الذى يتألف من مجرى رئيسى تتفرع من اعلاه ست ترع لارواء الحقول ومن أسفله قناة بايتشيوى البالغة ١٠٠ كيلومتر ، وقد احيا ١٨٠ ألف هكتار . وتقدمت تبعا لهذا التطور في الانتاج فنون الزراعة وظهرت مؤلفات تناولت التجارب التى استوعبها المزارعون خلال الانتاج مثل كتاب تشى شنغ تشى وهو من اقدم الكتب الزراعية في الصين وكتاب « اساليب الفلاحين الزراعية » الذى ظهر في عصر لاحق متضمنا نفس الموضوعات التى تناولها تشى شنغ تشى . وجدير بالذكر ان صناعة الفلز والنسيج في أسرة الهان الغربية تطورت سريعا وخاصة صناعة الحريز . ومن المنسوجات الحريرية الحريز الدمقسى والحريز المطرز والحريز الشفاف .

الكنفوشية في الصين

دخلت أسرة الهان الغربية حقبة ذهبية دامت ٥٤ سنة (١٤٠ - ٨٧ ق . م) ، كان فيها الامبراطور هان وو دى على رأس الدولة ، ويرتبط حكم هذا الامبراطور

بالتطبيق الصارم لسياسات الوزير الاكبر دونغ تشونغ شو في المجال الثقافي والديني . وكان لهذا الوزير عناية بالفكر الفلسفي والديني وقد انشأ لحساب الطبقة الحاكمة طبقا كاملا من الرؤى المستمدة من الكونفوشية أكد فيه على الامبراطور أن يفعل بمقتضى وحى السماء ، وأن يطبق « سياسة عطف » على الجماهير تهيه السماء محصولا زراعيا اوفر . وكان يروج لفكرة « التواهب بين للسماء والانسان » راميا من خلال تأليه الامبراطور الذى يمثل مصالح الطبقة الحاكمة الى توطيد حكمه وحمايته من ردود الفعل الشعبية . ومن اجل ان تأخذ هذه الافكار مداها الاجتماعى الكامل ، كانت هناك حاجة لحصر الاستذهان العام فيما تقول به الكونفوشية . وتطمينا لهذه الحاجة أنشئ عدد كبير من المدارس بإدارة الحكومة المركزية والحكومات المحلية قصرت الدراسة فيها على كتب الكونفوشيين مثل « كتاب التاريخ » ، « كتاب الطقوس » « كتاب الطوالع » وكتاب « الربيع والخريف » ، ومنع الناس من تداول كتب المدارس الاخرى التى كانت لا تزال منتشرة فى عموم المجتمع الصينى . وهكذا أصبحت الكونفوشية بالتدريج ايدولوجية المجتمع الاقطاعى الصينى .

ومن تعاليم دونغ تشونغ شو المستمدة من الكونفوشية « الخضوع المطلق الثلاثى » أى خضوع الوزراء للامبراطور والابناء للاباء والزوجة لבעلها .

الحرب ضد قبيلة شيونغنو

فى أوائل أسرة الهان الغربية ، كانت مناطق الشمال بمقاطعات خبى وشانشى وشنشى مسرحا لغارات قبيلة بدوية تدعى شيونغنو . وقد تفاقمت اعتداءات هذه القبيلة حتى شملت عام ٢٠٠ ق . م جنوب غربى تايوان بمقاطعة شانشى . وهنا تصدت لهم قوات ضخمة من الهان ثناها ٣٢٠ ألف جندى ، ودفعتهم الى ما وراء هذه المقاطعة . لكنها فوجئت حين كانت تطاردهم فى شمال شرقى داتونغ بكمين دبر باحكام وسرعة خاطفة ونتيجة ذلك انقطع تموين جيش الهان سبعة أيام كاملة . وحاول الامبراطور هان قاو تمسوا انقاذ الجيش المحاصر فلم يفلح . . وعندها ادرك ان حكومته لا تزال غير قادرة على مجابهة هذا العدو المتمرس فى القتال ، فاضطر الى التراجع والمساومة فزوج زعيم شيونغنو بأميرة من الهان واختصه بهدية ضخمة من الغلال والحرير وعقد معه اتفاقات تجارية

لتبادل حريز مدن الداخل بمواشى وفراء منطقته . وبهذه الخطة استطاع الامبراطور الهانى ان يحد من اعتداءات شيونغنو ، رغم ان ارسناتيتها لم يقنعوا بما كسبوه فواصلوا غاراتهم ولكن على مناطق الشمال النائية .

ومع التطور العاجل الذى طرأ على الوضع الاقتصادى حتى عهد الامبراطور هان وو دى توفرت الشروط السياسية والمادية لخوض الحرب ضد هذه القبيلة الخطرة ، فبدأت سلسلة من المعارك العنيفة الطويلة الالامد بلغت ذروتها عام ١١٩ ق . م حيث وقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين .

كان ذلك فى ربيع هذا العام حين تحرك جيشان من الهان مؤلفان من مئة ألف فارس ومئات الالوف من المشاة بقيادة وى تشينغ وخو تشيوى بينغ ، وتوغلا فى أعماق الصحراء المنغولية من عدة اتجاهات . واستغل وى تشينغ أمسية عاصفة فوجبه بعد اقامة خط تحصين من العربات الحربية ، طابورا من خمسة الالوف فارس لاقتحام مواقع العدو ، ثم أمر المشاة بالزحف نحو هذه المواقع باتجاهين لمحاصرتها . واطبقت الجيوش على فرسان شيونغنو فانفجر قتال مرير اسفر عن اصابات بليغة فى اوساطهم ، وعند ذلك ترمى لزعيم البدو ان قواته لن تقوى على الصمود طويلا فاخترق الحصار بحماية نخبة من مقاتليه ، هاربا نحو الشمال الغربى ، وقد طاردهته قوات وى تشينغ فابادت اكثر من عشرة الالوف من جنوده . هذا فى حين كان جيش خو تشيوى بينغ يخوض معركة اخرى على جبهة ثانية انتهت بآبادة ما يزيد على ٧٠ ألفا من رجال شيونغنو . وعكفت شيونغنو على جراحها تلعقها دون ان تستطيع التحرك بعد هذه الهزيمة النكراء ، مما اتاح للامبراطور هان وو دى تهجير اكثر من مليون نسمة الى مناطق ممرات خشى وختاو بعد تأمينها من الغزو . وقد أخذ هؤلاء الكادحون بزراعة هذه الأراضى البكر التى لم تطلأها قدم من قبل .

شق الدروب الى مناطق الصين الغربية

كان ما يمتد فوق أقصى غرب مقاطعة قانسو وشينجيانغ من البقاع الفسيحة يسمى فى عصر الهان شيبوى أى اقاليم الصين الغربية . وكان سكان هذه الاقاليم يعيشون على الزراعة والرعى وقد ظهرت فيها عشرات الكيانات السياسية ، قبل أن تقع تحت سطوة شيونغنو التى فرضت على سكانها من مختلف القوميات اندح

الضرائب والأتارات . وفى مجرى حملاته التأديبية ضد هذه القبيلة وجه هان وو دى عام ١٣٨ ق . م وفدا برئاسة تشانغ تشيان (؟ - ١١٤ ق . م) الى بلده دايويشى جنوب غرب هضبة البامير لاستنهاض اهلها ضد شيونغنو . وقد وقع تشانغ وأعضاء وفده فى قبضة القبيلة عندما مروا باراضيها وحجزوا هناك عشر سنوات . ثم استأنفوا سيرهم نحو الغرب ولكن دون أن يروا فى بلدة دايويشى أيا من اهلها الذين كانوا قد هجروها فرارا من غارات شيونغنو . وبعد عودته روى تشانغ تشيان للامبراطور هان وو دى ما رآه فى هذه الرحلة وأفضى اليه برغبة ابنائه تلك الاقاليم فى اقامة الصلات مع اسرة الهان .

أرسل هان وو دى مبعوثه تشانغ تشيان ثانية الى المناطق الغربية عام ١١٩ ق . م أى بعد اخراج شيونغنو منها . وتحرك تشانغ من تشانغان مع وفد من زهاء ثلاثمئة فتجولوا فى الدويلات القائمة هناك وعرفوا ابنائها بمنتجات أسرة الهان التى كانوا يحملونها معهم ، ثم عادوا حاملين رسائل وهدايا من امراء تلك الدويلات . وكانت هذه الجولة بداية تطور جديد فى العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية بين أسرة الهان ودويلات غرب الصين . ومن خلال ذلك نقلت تقاوى الكروم والجزر والجوز من غرب الصين الى تشانغان ، ومنسوجات الحرير وأدوات الحديد من تشانغان الى غرب الصين ، وتعلم أبناء الشعب من مختلف القوميات فى مناطق الحدود الغربية تقنية التعدين وحفر الآبار . كما بدأ من ذلك الوقت نقل الحرير الصينى عبر المناطق الغربية الى ايران فغرب آسيا فاوروبا الرومانية حيث تم فتح طريق الحرير المعروف بين الصين وغرب آسيا وأوروبا . وقد أقامت حكومة الهان الغربية عام ٦٠ ق . م هيئات رسمية فى هذه الانحاء لادارة الشؤون العامة وتأمين المواصلات على هذا الطريق . هذا بينما تأسست حكومات محلية فى جنوب سيتشوان الغربى وقويتشو ويوننان . وبفضل هذه الاجراءات تم ربط المناطق الغربية بالحكومة المركزية وادخالها من ثم فى دائرة التطور الحضارى والسياسى لعموم الصين .

على صعيد العلم والثقافة

مع النمو الحثيث لقوى الانتاج الاجتماعى وتوطد الاتصالات بين القوميات الصينية ، تقدم النشاط العلمى والثقافى فى مجالاته المختلفة على المستويين

النظري والثقفي . ففي هذه الحقبة ظهر كتاب « الحساب ذو التسعة أبواب » الذي احتوى على ٢٤٦ مسألة رياضيات تتعلق بكيفية قياس المساحات والابعاد وحساب حجم حفريات البناء وسعة المخازن مع الكثير من مسائل الحساب والجبر والهندسة . وفيها ظهر الورق لأول مرة في العالم . وكان الناس قبل ذلك يكتبون على شرائح الخيزران والخشب او الحرير ، حتى أسرة الهان النورية حيث استخدم الورق المصنوع من ألياف الحرير ، ثم من ألياف الكتان ، وقد عثر عام ١٩٥٧ على هذا الصنف الباكر من الورق في مقبرة لاسرة الهان في باتشياو ، شيان ، شنشى .

ومن اعلام هذا العصر سيما تشيان (١٣٥ او ١٤٥ ق . م - ؟) وهو ابن لمؤرخ رسمى كان مسئولا عن تحرير الكتب التاريخية للدولة . وقد ورث منصب والده ثم نحي عنه بعد سوء تفاهم مع الامبراطور هان وو دى فعكف على تأليف كتاب شامل في تاريخ الصين استغرق اتمامه عشر سنوات . وكان قد استوعب منذ شبابه معارف نظرية وعملية واسعة اذ اتبح له ان يتجول في انحاء الصين فزار السور العظيم ومناطق الاقليات القومية وكهوف دايوى ، كما استفاد من منصبه لدراسة الكتب المودعة في خزانة الامبراطور . ويضم كتابه مائة وثلاثين مقالة من ٥٠٠ ألف مفردة شملت حوالى ثلاثة الاف سنة ابتداء من عهد زعيم اتحاد القبائل هوانغ دى - من اشخاص الحكايات - حتى الامبراطور هان وو دى . وقد تحدث في هذا الكتاب عن الدور العظيم للانتفاضة الفلاحية بقيادة تشن شنغ ووو قوانغ في اسقاط أسرة تشين ، ونوه بالشاعر العظيم تشيوى يوان وندد بجرائم الاباطرة والموظفين وسخر حتى من الامبراطور هان وودى لولعه بالخرافات . ويضم الكتاب ٧٠ مقالة كرسست للتراجم التى شملت مشاهير الاطباء والعلماء والتجار والكهان كما تناولت بعض الشخصيات الاجتماعية من العيارين والمحسنين والموظفين العتاة . فيعتبر أدبا مثاليا لتراجم الشخصيات . . . يعكس بلغة بسيطة وحيوية التناقضات الاجتماعية المعقدة .

* تم اختراع الورق اليفى - الذى عم استعماله في العالم - على يد تسلى رون من عبيد البلاط في أسرة الهان الشرقية وقد صنعه من الياف النباتات (قشور الاشجار ومخلفات الكتان والقماش وشبكات الصيد) مستفيدا من الخبرات السابقة .

تفكك أسرة الهان

الغربية وظهور الشرقية

يرتبط تطور الاقتصاد القطاعي في أسرة الهان الغربية (٢٠٦ ق . م - ٨ م) بانتقال ملكية الاراضي كليا من الفلاحين الى الملاكين . وفي اواخر هذه الاسرة كان عدد الذين يمتلكون مئات ألوف الموات من الحقول الخصبة في ازدياد مطرد ، وقد انخرط في هذه العملية ليس ملاك الاراضي وحدهم بل النبلاء وكبار الموظفين وكبار التجار ، الذين انضموا الى بعضهم ليكونوا القوة السائدة في كل المجتمع . أما الفلاحون الذين فقدوا ارضهم فاصبحوا اما أقتانا واما مشردين . وهكذا بلغ التناقض بين الفلاحين والطبقة الحاكمة القطاعية ذروته ، معجلا باندلاع نيران الانتفاضات الفلاحية ضد هذه الاسرة .

ففي عام ٨ م اقام وانغ مانغ (٥٤ ق . م - ٢٣) أسرة جديدة باسم شين بعد ان انتزع السلطة العليا من ابن اخته - آخر اباطرة الهان الغربية . وأقدم وانغ مانغ لتدعيم حكمه على سن قوانين جديدة حاول بها تخفيف حدة التناقض بين الفلاحين وملاك الاراضي ، وقد نصت هذه القوانين على جعل الاراضي ملكا للدولة لا يجوز بيعها وشراؤها ، واعطى لكل زوجين الحق في الانتفاع بمئة مو من الحقول وتسترجع الحكومة ما تجاوز هذا الحد لتوزيعه على المزارعين الذين لا يملكون . كما نصت على عدم جواز بيع الاقنان . . على ان هذا الاصلاح ام يستمر طويلا ، فلم تمض ثلاث سنوات حتى ألغيت القوانين الجديدة تحت ضغط الارستقراطيين والبيروقراطيين وكبار ملاك الاراضي . وقام وانغ مانغ زيادة على ذلك بتغيير فئات النقود اكثر من مرة ثم صار الى اصدار عملة تساوي ٣/٥٠ من نقد الهان الغربية ، مما نتج عنه افلاس العديد من الناس . وكانت الطبيعة تصيف الى مظالم الحاكم وطبقته كوارث متصلة عمت في أواخر

حكم هذه الاسرة كل انحاء البلاد .

امام هذا الوضع الذى لا يطاق ، اندلعت عام ١٧ انتفاضة هوبى بقيادة وانغ كوانغ ووانغ فنج ، وقد رابط هؤلاء المتمردين فى اعماق الغابات فاطلق عليهم « جيش الغابات الخضر » وكانوا يشنون حملاتهم على المواقع الحكومية ويوزعون ما يغنمون منها على الفقراء ، فلقى جيشهم تأييدا حماسيا من الكادحين ادى الى ازدياده بأعداد غفيرة فاهزت الثمانين الفا فى بضعة شهور .

وفى وقت مقارب تمرد فان تسونغ فى محافظة جيويشيان بمقاطعة شاندونغ واستطاع ان يلف من حوله الوف الفلاحين وتأليف جيش عرف باسم « جيش الاهداب الحمر » لان مقاتليه كانوا يصبغون اهدابهم بلون احمر . وقد وضع هذا الجيش على عاتقه تأمين حياة الشعب ضد انتهاكات الاقطاعيين واعلن مبدأ القصاص فى القتل والجرح . وامتدت فعالياته العسكرية الى مقاطعات شاندونغ وخنان وشنشى وشانشى . ولمجابهة هذه الانتفاضات وجه وانغ مانغ عام ٢٢ قوتين ضاربتين اولاهما نحو مقاطعة شاندونغ والثانية الى مقاطعة خنان . وتصدى ذوو الاهداب الحمر للقوة الاولى فالحقوا بها هزيمة نكراء فى معركة دونغيينغ غربى شاندونغ . وبعد ذلك بقليل منى وانغ مانغ بهزيمة مماثلة على يد جيش « الغابة الخضر » ، فى محافظة يشيان مقاطعة خنان ، وبذلك صار الطريق الى العاصمة تشانغان مفتوحا أمام جيوش الفلاحين التى توجهت لاحتلالها وانهاء حكم هذه الاسرة . وهو ما تم اخيرا بالتنسيق مع جماهير العاصمة التى انتفضت من جانبها وقتلت وانغ مانغ معلنة سقوط اسرة شين .

كان ليو شيوان (؟ - ٢٥٠ م) وليو شيو (ق . م - ٥٧ م) الاميران من الهان الغربية قد تسللا الى صفوف جيش الانتفاضة الفلاحية يساورهما امل فى استعادة مجدهما الزائل . وتمكن ليو شيو فعلا من اغتصاب القيادة فى جيش « الغابة الخضر » وقد استغل مركزه القيادى فى هذا الجيش لضعافه وقتل بنفسه عددا من زعماء الفلاحين . وبسبب ذلك انشق عليه وانغ كوانغ الذى انضم بقواته الخاصة الى جيش « الاهداب الحمر » وفى هذه الاثناء استمر الزحف نحو العاصمة حيث تم احتلالها . . وهنا نظم ملاك الاراضى فى الارياف المحيطة بالمدينة قوات جديدة وضربوا حصارا حول العاصمة المحررة . واذ رأى جيش الفلاحين صعوبة البقاء فى المدينة تحت هذا الحصار اضطر الى مغادرة مواقعه .

وحدث في نفس الوقت ان زحف جيش الغابة الخضراء الذي سقط تحت قيادة ليو شيو من مقاطعة خنان الى مدينة لويانغ بعد ان ضم اليه فلول جيش الاهداب الحمر المنسحبة من العاصمة . واستولى هذا الجيش على مدينة لويانغ حيث تم للقائد المهندس ليو شيو اغتصاب ثمار النصر الذي حققه الفلاحون ونصب نفسه امبراطورا معلنا تأسيس اسرة جديدة هي الهان الشرقية اتخذت من لويانغ عاصمة لها .

تحولات الوضع الاقتصادي

كانت طبقة كبار ملاك الاراضي هي القاعدة الاجتماعية لاسرة الهان الشرقية . ومن خلال امتيازاتهم السياسية والاقتصادية المتعددة تم لهم الاستئثار بمساحات طائلة من القيعان الخصبة استثمارها بأيدي الفلاحين الذين اجبروا على العمل كاقنان . وكان كل مالك يهيمن على زهاء عشرة آلاف عائلة قن ويحتجئ أموالا طائلة . وقد انشأ الملاكون مزارع ويساتين ومرعى ضخمة اشغل فيها الاقنان بغرس اشجار التوت ووزع الكتان وتربية دود القز وما يلحق ذلك من نسج الحرير والكتان وتخدير الخمور واستخراج السكر . وللحيلولة دون فرار الاقنان ولكبت مقاومتهم ، اقيمت في كل ضيعة قلعة ضخمة تحيط بها أسوار عالية ومخافر في أطرافها الاربعة ، واحيطت الاسوار الخارجية بخنادق عميقة ، هذا علاوة على فرق الحماية الخاصة بكل اقطاعي . وكان بعض كبار ملاك الاراضي يقبضون على زمام السلطات المحلية مباشرة ويتوارثون بعض المناصب المركزية أبا عن جد .

وفي أوائل سني الهان الشرقية ، استصلحت الأراضي البور بأيدي الفلاحين والاقنان ، وانشئت مشروعات الري على نطاق البلاد ، لا سيما في مجرى النهر الاصفر الذي كان مسرحا للفيضانات ، وقد ساعد على انجاز هذه المشروعات ظهور المنفاخ المائي الذي استخدم في المصاهر لصنع الآلات الزراعية من الحديد على نطاق واسع . وفي نفس الوقت حققت الصناعة اليدوية التي شملت نسج الحرير والخزافة وصنع الاوعية الخشبية تقدما ملحوظا في الكم والنوع . وهكذا شهدت قوى الانتاج في الهان الشرقية ، واواسطها على وجه التحديد ، تطورا كبيرا بالمقارنة مع سالفتهما الغربية . وبالطبع فقد تم ذلك على حساب الشغيلة

الذين حرموا في معظم الاحيان حتى من الحد الأدنى لمكافأة العمل ، واتباع حكام الهان الشرقية مختلف الوسائل لاعتصارهم ، ومن ذلك ما جرى عام ٣٩ بحجة تفتيش السجل السكاني وإعادة قياس مساحات الحقول المحروثة فعلا ، حيث ضوعفت الضرائب على الفلاحين .

تدعيم الاتصال بأقاليم الصين الغربية من خلال مطاردة

شيونغنو

في بداية أسرة الهان الشرقية كانت قبائل شيونغنو قد انشطرت الى فرعين جنوبي وشمال ، انتقل الاول الى المنطقة الممتدة بين المجرى الأوسط للنهر الاصفر وشمال شانشي وشنشي ، وهي أماكن مأهولة بقوة الهان . وأما شيونغنو الشمالية فمكثت في هضبة متغوليا جاعلة من مناطق الصين الشمالية مسرحا للنهب والتخريب . وقد هيمنت شيونغنو على الكيانات السياسية في سيوى (أى أقاليم الصين الغربية) وقطعت الاتصال بينها وبين مدن الداخل كما فرضت على سكانها من مختلف القوميات أفدح الضرائب والاتاوات . وللخلاص من سطوة هذه القبائل جرت اتصالات بين دويلات سيوى وحكومة الهان المركزية ، التي كانت مهتمة بتأمين المواصلات على طريق الحرير ، اسفرت عن توجيه قوات ضخمة بقيادة دو قو (؟ - ٨٨) من جيو تشيوان في مقاطعة قانسو الى سيوى . وقد اكتسحت هذه القوات منطقة أوولو ، جنوبي غرب شينجيانغ ، واعادت اليها الادارة الحكومية . وفي حملة لاحقة عام ٨٩ بقيادة دو شيان تم الاجهاز على شيونغنو الشمالية وانهاء سيطرتها على سيوى بشكل تام . وعلى أثر ذلك أرسلت حكومة الهان الشرقية مبعوثها بان تشاو (٣٢ - ١٠٢) الى سيوى ، حيث بقى ثلاثين سنة عمل خلالها على توثيق وتطوير الاتصالات بين مدن الداخل وتلك البقاع النائية .

ورغبة من حكومة الهان في الاتصال بأوروبا الرومانية ، اوفد اليها بان تشاو سفيرا من قبله يدعى قان ينغ ، وقد بدأ هذا المؤبد رحلة في طريق الحرير عام ٩٧ انتهت عند الخليج الفارسي حيث عاد ادراجه لعدم استطاعته المواصلات حتى اوربا . وفي عام ١٦٦ ، وصل وفد روماني الى الصين بحرا ، قدم الى الإمبراطور الصيني هان هوان دي (١٣٢ - ١٧٦) هدية ثمينة من العاج . .

وكانت هذه الزيارة بداية التطور في العلاقات بين الصين وبلدان أوروبا .

على صعيد العلم والثقافة

شهدت أسرة الهان الشرقية نهضة علمية وثقافية شملت مضامير عديدة وتمنعت عن بعض الاختراعات الهامة ، وظهر في الصين خلال ذلك عديد من العلماء ، والمفكرين قدموا مساهمات مشهورة في علوم الطبيعة والمجتمع ، ومن ابرز هؤلاء :

تشانغ هنغ (٧٨ - ١٣٩) وهو فلكي ورياضي عظيم اخترع الكرة الحلقية لرصد النجوم ومعرفة مداراتها ، والمهراز لرصد الزلازل . وقد رصد بنجاح مدھش زلزلة ضربت شرق مقاطعة قانسو . ومن المعروف ان هذا الجهاز لم يظهر في أوروبا الا بعد ١٧٠٠ سنة من اختراعه على يد تشانغ هنغ عام ١٣٢ . تشانغ تشونغ جينغ (حوالى ١٥٠ - ٢١٩) عالم بالطب الف كتابا في الامراض تناولها من الناحيتين النظرية والعلاجية وسجل فيه زهاء أربعمئة وصفة . وقد عرف بلقب « الطبيب المقدس » ، ولا تزال نظرياته محور الطب التقليدي في الصين .

هوا قو : طبيب متجول في مقاطعات جيانغسو ، شانغونغ ، خنان وآنهوى . عرف بحذقه في فروع طبية عديدة لا سيما في الجراحة والعلاج الوخزى وهو اول طبيب عالج الصداع بالابرة الفضية . وقد اخترع هوا توه مسحوق « ماني » للتخدير وكان يؤخذ من الفم مخلوطا بالخمر . وقد شاع استعمال هذا المخدر بعد ذلك في كوريا واليابان والبلدان العربية ، وهو يسبق ظهور التخدير في الغرب بـ ١٦٠٠ سنة . وكان هوا توه يرى ان التمارين البدنية هي احدى العوامل الاساسية في تعزيز الصحة وقد وضع طبقا ، هو الاول من نوعه في الصين ، من الرياضات العلاجية قلد فيها حركات النمر والايل والدب والقرد والطيور ولذلك عرفت بـ « مصارعة الحيوانات الخمسة » .

وانغ تسونغ (٢٧ - ٩٧ م) مفكر مادی قديم ولد في أسرة فقيرة وتخرج في احدى المدارس الامبراطورية في لويانغ فاشتغل موظفا في الحكومة المحلية . ثم اعتزل الوظيفة بسبب تبرمه من الوسط الرسمي وعكف عن ثم على التعليم والبحث ، فظهرت على يديه سلسلة من الافكار المتقدمة بالقياس الى عصره رد فيها على

الخرافات التي كان يروجها مثقفو السلطة . وقد تصدى لآراء دونغ تشونغ شو القائلة : « ان السماء توحى الى الامبراطور من خلال العاصفة والمطر والنييم والخسوف والكسوف والنيازك » . فإشار الى ان ذلك كله ليس الا ظواهر طبيعية تجرى وفق قوانين الطبيعة . ورد على عقائد البعث والتناسخ فقال ان روح الانسان تفنى بعد الموت ولا يصير جسده الى اكثر من مخصب للارض ! وكان يتساءل : هل رأى احد بعينه ميتا تحول الى ملاك او جنى ؟ وقد عرض وانغ تسونغ آراءه في كتاب « لونهنغ » الذى بين فيه العلاقة بين الانسان والطبيعة وبين البدن والروح . وهاجم عقيدة الالاه بين السماء والانسان وغيرها من المعتقدات المثالية . وكان قد اشتغل فى تأليف هذا الكتاب ثلاثين سنة . على ان وانغ تسونغ بقى أسير مرحلته التاريخية فى النظرة العامة للوجود وكان يرى كالمثاليين « ان السماء تقرر كل شئ » مؤكدا من خلالها ايمانه بالقضاء والقدر .

انتفاضة « الشالات الصفر »

فى اواخر هذه الاسرة وقعت السلطة الفعلية بأيدي قرياء الامبراطور ورجال البلاط واصبح الامبراطور فى حكم الدمية . وكان أولئك الممثلون السياسيون لكبار ملاك الاراضى منغمسين فى الترف على حساب الشغيلة ، حيث « تتفنن الخور واللحوم فى القصور الفاخرة ؛ وعلى الشوارع تتجمد الجثث جرجا ويردا » ، كما يقول شاعر مجهول من تلك الحقبة ولقد حتم ذلك على الجياع ان يشهروا سيوفهم وهم لا يجلبون فى بيوتهم ، ان كان لهم بيوت ، ما يأكلونه . . وهكذا هبت الجموع فى وادى اليانغتسى الاوسط والأ سفلى وشبه جزيرة شانلونغ ضد حكم الهان ، وهى تردد أنشودة استنفار تقول : « ينمو الشعر بعد قصه كالكراث ؛ ويستمر الرأس فى الصباح بعد قطعه كالديك ؛ فلا تخف من الموظفين ولا تستهن بقوة الشعب . . . » قد تزعم هذا التمرد الجماهيرى الواسع النطاق تشانغ جياو (٩ - ١٨٤) من مقاطعة خبى . وكان هذا الرجل قد استحدث ديناً جديداً يسمى « تاي بينغ تاو » وبدأ هو وأتباعه دعوتهم فى أوساط الجماهير فى اثناء معالجتهم للفلاحين من الأمراض السارية . وخلال عشرة اعوام من الدعوة انضم اليه مئات الالوف فنظمهم تشا نغ جياو فى ٣٦ وحدة يتراوح اعضاء كل منها بين عشرة الاف وستة الاف . وعلى اثر ذلك تقرر

القيام بانتفاضة شاملة حدد موعدها في ٥ مارس ١٨٤ . لكن الخطة انكشفت
 بخيانة احد الاتباع فاعتقل ما يوان يى احد رؤساء الحركة مع حوالى الف من
 جماعته واعدوا ، مما اضطر تشانغ جياو لتقديم الموعد الى فبراير ،
 قفأ جيشه الذى سمي « جيش الشالات الصفر » لان مقاتليه كانوا
 يتلفون بها ، وشن هجوما مباغتاً ضد المواقع الحكومية انتهى بالاستيلاء على كثير
 من مدن مقاطعتى خبى وخنان ، ومحاصره العاصمة لويانغ . وردت قوات
 الحكومة التى كانت خارج العاصمة بهجوم مكثف على جيش « الشالات الصفر
 فى تخوم مقاطعة خبى ادى فى اول الامر الى تضعف الثوار ، لكن الفلاحين
 قرروا الصمود وبدأت من هنا سلسلة من المعارك المريرة بين الطرفين ، اسفرت
 عن انتصارات اولية للثوار . وفى هذه الاثناء توفى تشانغ جياو بسبب مرض مفاجئ
 فتولى القيادة اخوه الاصفر تشانغ ليانغ الذى واصل مهمته فوجه قواته لتسديد ضربات
 مميتة ضد القوات الحكومية ادت الى شل حركتها . وبدأ لنوى الشالات الصفر
 ان كفتهم قد رجعت نهائيا وان العدو لم يعد قادرا على الرد فاخذوا الى الراحة .
 وفى بكرة احد الايام بوغثوا بهجوم مضاد اربكهم وادى الى قتل قائدهم تشانغ
 ليانغ . وبدأت على الاثر جولة جديدة من المعارك استمرت سبعة شهور ، استفد
 جيش الانتفاضة خلالها قوته فى مجابهة الضربات الشديدة التى انهالت عليه من
 قوات الحكومة المدعمة بقوات ملاك الاراضى . وقد انتهت الحرب بهزيمة
 نهائية لجيش « الشالات الصفر » .

على ان ذلك لم يكن غير نصر مؤقت لاسرة الهان الشرقية التى تلاشت
 فى غضون عشرين عاما بعد ان انهكتها الانتفاضة وافقدتها مقومات وجودها .

حقبة التعدد في الاسر والدويلات المتزامنة

في أواخر سني الهان الشرقية ركزت الحكومة جهودها لصد انتفاضات الفلاحين فانشأت جيوشاً محلية تشرف عليها السلطات المحلية التي نظمتها بالاندماج مع قوات ملاك الاراضى ، وقد اتاح ذلك للموظفين المحليين أن يضخموا نفوذهم الشخصى ، ويتصرفوا كأمرأى حرب ، وبينما كانت الحملات التأديبية ضد الفلاحين قائمة على قدم وساق كان هؤلاء الامراء الجدد يتقاتلون على مناطق النفوذ ، الامر الذى أنزل الخسائر الشديدة بأرواح الشعب وممتلكاته .

الاسر الثلاث

كان يوان شاو (؟ - ٢٠٠) وتساو تساو (١٥٥ - ٢٢٠) ، زعيما أقوى الكيانات العسكرية في شمال الصين ، يسيطران على المجرى الأوسط والأسفل للنهر الأصفر . وفى عام ١٩٦ اختطف تساو تساو الامبراطور هان شيان دى وجاء به الى شيويتشانغ - خنان ، واخذ يصدر الاوامر باسم الامبراطور المخطوف الى أمراء الحرب الآخرين . وبهذا الابتزاز رجحت كفة تساو تساو على أقرانه . وراح يعمل من هنا لتدعيم حكمه ، فسعى لاحتواء الكفاءات العسكرية والإدارية وعنى بالزراعة فنظم المتشردين في استصلاح الأراضى البور ، ثم استثمارها بالمزارعة التى اتخذت شكلين : مناصفة بين الحكومة والمزارع الذى يستخدم أبقاره في الحرث ، او دفع ستة اعشار المنتوج الى الحكومة في حالة استخدام أبقارها . وحددت الحكومة أماكن معينة لهؤلاء المزارعين منعتهم من الخروج منها . وفى وقت لاحق طبق تساو تساو هذه الخطة على قواته المسلحة .

وبنتيجة ذلك تطور مركزه الاقتصادي فساعد بدوره على توسيع نفوذه وترسيخ سلطته .

في عام ٢٠٠ بلغ التناحر بين أمراء الحرب في الشمال ذروته ، فانفجرت المعركة الحاسمة بين تساو تساو ويوان شاو في قواندو بخنان . وكان لدى يوان قوات متفوقة كثيرا تعد ما يزيد على مائة ألف مقاتل مما جعله يستخف بخصمه ويتراخى في الاستعداد . وحدث في أثناء ذلك ان انضم احد مستشاري يوان شاو الى تساو تساو وتقدم اليه بخطة للايقاع بصاحبه بعد ان ارشده الى المواقع الاستراتيجية لقواته . وتبعا لهذه الخطة تسلل جيش تساو المؤلف من خمسة الاف شخص تحت قيادة تساو نفسه الى مؤخرة قوات يوان ، واحرقوا مخازن تموينها لايهاهما بوقوع هجوم مباغت من الخلف . وقد اوقع ذلك الارتباك في صفوف هذه القوات فترك المقاتلون مواقعهم وطاردتهم قوات تساو وابادت اكثر من سبعين ألفا منهم وهرب يوان شاو بعد ان انكشف عنه الجيش تحت حماية ثمانمائة فارس نحو مقاطعة خبي .

بدأ تساو تساو بعد هذا الانتصار الكبير يسمى لتوحيد شمال الصين بابتلاع الكيانات العسكرية الاخرى ، وتم له ذلك في بضعة سنين . وفي عام ٢٠٨ ، زحف بجيش جرار الى الجنوب ، واستولى على بعض أنحاء جيتشو (جزء من مقاطعة هوبي وهونان حاليا) التي كانت تحت حكم ليو بي (١٦٢ - ٢٢٣) الذي منى بهزيمة ساحقة فانسحب بفلول جيشه البالغ حوالي عشرة الاف الى مدينة أهتشونغ شرق مقاطعة هوبي وقد واصل تساو تساو الذي تجاوزت قواته ٢٠٠ ألف بعد ان اضاف اليها قوات جينغتشو النهرية زحفه نحو الشرق على متون السفن الحربية في نهر اليانغتسي ، مما حمل ليو بي على توجيه مستشاره الاول تشو قه ليانغ (١٨١ - ٢٣٤) الى سون تشيوان (١٨٢ - ٢٥٢) أمير الحرب الذي كان يهيمن على مناطق الجنوب الممتدة على معجى اليانغتسي الاسفل ، لاستنهاضه ضد تساو تساو . واسفرت محادثات المستشار عن انشاء جيش مشترك بقيادة تشو يوى (١٧٥ - ٢١٠) القائد العام لقوات سون توجه لمصادمة تساو تساو . والتقى الجمعان في تشيبي جنوب مقاطعة هوبي . وهنا تقدم هوانغ قاى احد أمري قوات سون الى القائد العام ليكشف حقيقة ان معظم جنود تساو شماليون لم يعتادوا القتال في الانهار ولذلك

ربطت سفنهم الحربية بأمراس الحديد لئلا تمنع من الهرب ، واقترح من ثم خطة سهلة لاحتراقها . وهو ما حصل . ففي صبيحة يوم عاصف ، انطلقت عشر سفن بأمر من هوانغ قاى نفسه من الضفة الجنوبية لليانغتسى بسرعة باتجاه الرياح نحو الضفة الشمالية ، وكانت السفن محشوة بقش مزيت غطى باقمشة نصبت عليها الاعلام ؛ وجرت خلفها زوارق تحمل المقاتلين . وحين اقتربت من مواقع تساو تساو اوقدت النيران فيها وهي لا تزال مندفعة بقوة الريح حتى اصطدمت بسفنها فاشعلتها . ومع اندلاع النيران فى سفن تساو وشنت القوات المتحالفة هجوما مركزا على قواته فمزقتها وهرب تساو بفلول جيشه عائدا الى الشمال .

بسط سون تشيوان بعد معركة تشيبي سلطانته على مجرى اليانغتسى الاوسط والاسفل . واخذ ليو بى معظم اجزاء مقاطعتى هوبى وهونان ثم سيتشوان . أما تساو تساو فاحتفظ بمناطق نفوذه فى البقاع الشاسعة حول مجرى النهر الاصفر . وفى عام ٢٢٠ توج تساو بى (١٨٧ - ٢٢٦) ابن تساو تساو نفسه امبراطورا بعد نفى هان شيان دى - آخر اباطرة الهان الشرقية معلنا قيام أسرة وى التى اتخذت من لويانغ عاصمة لها . وفى العام التالى اعلن ليو بى امبراطورا معلنا قيام أسرة شو وجعل عاصمتها فى تشنغدو . ثم حذا سون تشيوان حذوه فأسس أسرة وو عام ٢٢٢ التى اتخذت مدينة أهتشنغ عاصمة لها أولا ، ثم انتقلت الى نانجينغ بجيانغسو . وهكذا تأسست ثلاث أسر تمثل ثلاث امبراطوريات فى وقت واحد وانتهت بذلك حروب امراء الحرب التى استهكت السنوات الاخيرة من حكم الهان الشرقية .

انهاض الاقتصاد

واصلت أسرة وى أسلوب تساو تساو فى الزراعة ، وأنشأت علاوة على ذلك شبكات رى على جانبى هوايخه وقد ظهرت فى غضون ذلك اداة سقى جديدة تستطيع اىصال الماء الى المزارع على المرتفعات . وفى أسرة شو شغلت قضية الانتاج الزراعى اهتمام الوزير الاول تشو كه ليانغ ، فاقام هيئة رسمية لادارة شؤون صيانة وترميم سدود دوجيانغيان بالقرب من تشنغدو ، لارواء حقول غرب سيتشوان على مدار السنة . وكانت صناعة الحرير تحتل مكانة هامة فى تجارة شو مع الاسرتين الاخرتين .

كان جنوب سيتشوان وبعض الاجزاء من قويتشو ويوننان مأهولة بالاقلية القومية ، فعين تشو قه ليانغ في ادارتها المحلية موظفين من زعماء القبائل والهانيين . وعنى بتطوير الثقافة والاخذ باسباب المدنية من خلال تجديد تقنيات الانتاج القديمة وتعزيز قوى الانتاج ... مما ادخل هذه المناطق النائية في دائرة التطور الحضارى والسياسى لعموم الصين .

فى أيام الاقتتال بين أمراء الحرب ، نزع الفلاحون بأعداد طائلة عن مجرى النهر الاصفر الى جنوب اليانغتشى ، وفى نفس الوقت كانت اعداد غفيرة من ابناء الاقلية القومية تنزع عن قبائلها لتستوطن فى السهول . وقد وفر كل ذلك المطلوب من الايدى العاملة لدعم الانتاج الزراعى الذى بدأ يعتمد على الوسائل المتقدمة المأخوذة من الشمال ، وفى الحقبة نفسها شهدت صناعة السفن تطورا ملحوظا ، فبنيت السفن الحربية الضخمة التى تتسع لثلاثة آلاف مقاتل ، والمراكب الفاخرة ذات الخمسة طوابق كما تطورت الاساطيل التجارية والحربية وقد وصل تايوان عام ٢٣٠ اسطول من اسرة وويحمل عشرة الاف شخص فى زيارة ودية لتوطيد الصلات بين تايوان والمنطقة الساحلية فى الجنوب الشرقى .

أسرة جين الغربية

فى عام ٢٦٣ ابتلعت أسرة وى ، اقوى الاسر الثلاث ، اسرة شو . ثم انتزع سى ما يان (٢٣٦ - ٢٩٠) وزير أسرة وى الاول سلطتها العليا حيث أقام أسرة جين التى سميت « جين الغربية » . وبعد ١٥ سنة من ذلك (عام ٢٨٠) اسقط سى ما يان أسرة وو فوحد الصين .

واعلن سى ما يان الذى اصبح الامبراطور « جين وو دى » سياسة زراعية جديدة تقضى بتوزيع الحقول على الفلاحين لقاء تسليم ضريبة سنوية معلومة مع السخرة للحكومة فى الاشغال التى تحددها .

وكان الامبراطور الجديد قد انعم على ٢٧ من اقربائه بلقب امير واقطعهم بعض المحافظات والولايات ، وخولهم حق تنظيم القوات المسلحة وتعيين الموظفين من مختلف المستويات فى مناطق نفوذهم . ولم يكد سى ما يان يموت حتى انفجرت الحرب بين هؤلاء الامراء للاستيلاء على السلطة المركزية ، فعاد الشعب

الشغيل يمانى من ويلات الحرب وتعرضت وحدة البلاد لخطر انقسام جديد .
 فى تلك السنوات كانت قوميات شيونغنو وجيه ودى وتشيانغ وشيانبه
 تقيم فى مناطق الحدود الغربية والشمالية . وكان شطر من هؤلاء البداءة قد استقر
 منذ أسرة الهان الشرقية فى مناطق الداخل . وفى أواخرها تحركت بطون من قومية
 شيانبه نحو جنوب السور العظيم او جنوب النهر الاصفر ، وغادرت بطون
 اخرى من قومية دى جنوب قانسو الشرقى الى شرق شنشى وقانسو . وكذلك
 فعلت قومية تشيانغ التى انتقل بعضها الى نفس المنطقة . وحتى بداية أسرة جين
 الغربية . كان عدد ابناء الاقليات فى مناطق الداخل حوالى مليون نسمة ، وقد
 حافظ هؤلاء النازحون على تنظيماتهم واعرافهم ولهجاتهم ، وخضعوا خلال
 ذلك لعسف الحكام الذين فرضوا عليهم الضرائب الفادحة واجبروهم على الخدمة
 العسكرية ، فalcوا بالكثير منهم فى مظاهرات التشرذ . ولما حاولت حكومة جين
 ارغام المتشردين على العودة لارضيتهم استمهلوها حتى الحصاد اذ كان الكثير
 منهم قد دخل فى عقود مزارعة مع ملاك الاراضى لكنها رفضت امهالهم واخذت
 تطاردهم لاجراجهم من مزارعهم بالقوة . فردوا على هذا الايغال فى الاضطهاد
 بائتفاضة مسلحة تحت قيادة لى ته من قومية دى فى مياتشو بسيتشوان ، ثم تبعهم
 متشرذو مناطق نهر اليانغتسى ، وسرعان ما اكتسحت العاصفة الثورية بقاعا
 شاسعة من الصين لتضع دولة جين أمام تجدييات عجزت عن مجابعتها .
 وقد اغتنمت شيونغنو (قبائل الهون البدوية) هذه الفرصة فتحركت من جنوب
 شانشى واستولت على لويانغ ثم تشانغآن عام ٣١٦ حيث اسرت الامبراطور
 وانتهت حكم أسرة جين الغربية .

ظهور جين الشرقية و١٦ دولة

عام ٣١٧ اقام سى ما روى (٢٧٦ - ٣٢٢) احد اقرباء امباطور
 جين أسرة جديدة ، اتخذت من مدينة نانجينغ بيجيانغسو عاصمة لها وعرفت
 باسم أسرة جين الشرقية .

خلال اكثر من ١٣٠ سنة عقب زوال جين الغربية ، أنشأ الحكام
 الشماليون من مختلف القوميات عديدا من الدويلات فى مناطق مجرى النهر
 الاصفر منها ١٥ دولة رئيسية . وقد عرفت هذه الدويلات فى التاريخ بالدويلات

الست عشرة ، مع اضافة أسرة تشنغ التي كانت قائمة في الجنوب الغربي .
وفي أواخر القرن الرابع ، انجزت أسرة تشيانتشين التي أسسها ارستقراطيو
قومية دى توحيد مناطق النهر الاصفر . وفي عام ٣٨٢ وضعت خطة للهجوم
على جين الشرقية على يد فوجيان (٣٣٧ - ٣٨٥) أمير تشيانتشين نفذت في
السنة التالية بقوات نهريه وبرية ، توجهت من تشانغآن وقد تصدت قوات جين
الشرقية للهجوم بقيادة شيه شى (٣٢٧ - ٣٨٨) وشيه شيوان (٣٤٣ - ٣٨٨) .
وحدثت المعركة الحاسمة في نهر فيشوى بآنهوى . ورغم التفوق التام لقوات
تشيانتشين فقد هزمت في النهاية بفضل قيادة شيه شيوان الذى دبر خطة بارعة للايقاع
بالمدى على الوجه التالى : كانت قوات فوجيان تقف على الضفة الشمالية للنهر فطلب
شيه شيوان من فوجيان سحب قواته الى الورا حتى يكون بينهما مجال للاشتباك . .
ووافق الاخير على ان يشن هجوما مباغتاً ضد القوات اثناء عبورها . ولكن ما ان بدأت
قوات فوجيان بالتحرك الى الخلف حتى ظن جنوده انهم هزموا ، ومما عزز
هذا الهاجس في صفوفهم صراخ مباغت من احد الرجال : انهزمنا . . واختلت
صفوف الجيش واخذ الجنود بالفرار فطاردتهم قوات جين وقضت على الكثير
منهم . وسقط في يد فوجيان فجميع فلوله وكر راجعا الى الشمال .
وقد انهارت أسرة تشيانتشين بعد ذلك الهزيمة بوقت قليل ، وعاد الوضع
في اقاليم الشمال الى ما كان عليه .

الاسر « الجنوبية » و « الشمالية »

في عام ٤٢٠ توج ليو يوى احد زعماء قوات أسرة جين الشرقية (٣٢٥ - ٤٢٢ م) نفسه امبراطورا عقب نفى امبراطور أسرة جين الشرقية ، معلنا بذلك قيام أسرة سونغ (٤٢٠ - ٤٧٩) . وفى المئة وستين سنة التى تلت تأسيسها ظهرت على التوالي أسر ثلاث غيرها ، هى أسرة تشى (٤٧٩ - ٥٠٢) وأسرة ليانغ (٥٠٢ - ٥٥٧) وأسرة تشن (٥٥٧ - ٥٨٩) ، وسميت هذه الاسر الاربع التى انحصرت نفوذها فى جنوب الصين « الاسر الجنوبية » فى تاريخ الصين . وفى الوقت نفسه نهضت قبيلة توه با من قومية شيانجى فى غربى منغوليا الداخلية وشمال شانشى ، واقامت أسرة وى الشمالية (٣٨٦ - ٥٣٤) ، ثم وحدت وادى النهر الاصفر عام ٤٣٩ ، مما انهى وضع السلطات المنفصلة الذى ظل يشود شمال الصين منذ سقوط أسرة تشين . وفى وقت لاحق ، انشطرت أسرة وى الشمالية الى فرعين : وى الشرقية (٥٣٤ - ٥٥٠) ووى الغربية (٥٣٥ - ٥٥٧) ، بيد ان هذا الوضع لم يبق طويلا حتى حلت أسرة تشى الشمالية (٥٥٠ - ٥٧٧) محل وى الشرقية ، وكذلك تبدلت وى الغربية بأسرة تشو الشمالية (٥٥٧ - ٥٨١) ، التى ابتلعت تشى الشمالية فى نهاية الامر . وعرفت هذه الاسر الخمس التى ظهرت بالتتابع فى مناطق الصين الشمالية باسم « الاسر الشمالية » .

الاقتصاد فى جنوب نهر اليانغتسى

كان الانتاج الاجتماعى فى مناطق جنوب نهر اليانغتسى فى عصور « الممالك الثلاث » متخلفا عنه فى حوض النهر الاصفر ، اذ كانت هناك اراض واسعة لم تستصلح بعد ، وكان مردود الانتاج الزراعى قليلا . وفى أيام الاقتتال الذى جرى بين أمراء الحرب فى أواخر عهد أسرة جين الغربية ، نزح الفلاحون بأعداد كبيرة من مجرى النهر الاصفر الى جنوب نهر اليانغتسى ، فوفّر ذلك المطلوب

من الايدى العاملة لدعم الانتاج الزراعى الذى بدأ يعتمد على الوسائل المتقدمة المأخوذة من الشمال . واستصلحت رقع فسيحة من الاراضى البور ، ثم تزودت بمشروعات الري . أضف الى ذلك ، تعمم استعمال الابقار فى الحراثة . كما توفر ما لزم تطوير الانتاج الزراعى ، وأخذت بعض المناطق تزرع محاصيل فى العام الواحد .

حين حل عهد « الاسر الجنوبية » شملت عملية الاستثمار جنوب جيانفسو ، وتشجيانغ ، وجيانغشى ، وهوبى ، وهونان . اما فوجيان وقوانغدونغ وقوانغشى فكانت متأخرة فى الاستثمار . وفى أواخر عهد « الاسر الجنوبية » كان سكان تلك المناطق الجبلية قد احتكروا كثيرا بالسكان فى المناطق المجاورة ، وازدادت التعاملات بين القوميات المختلفة وسرعة اندماجها ، مما أدى الى تطور الزراعة . وفى تلك الحقبة تركز ملاك الاراضى الكبار فى جنوب جيانفسو وتشجيانغ ، وظهر الغنى الى حد ان انتشرت املاك وأراضى أحدهم فى بعض الاحيان فى محافظات عديدة . اما الفلاحون الذين لم يملكوا أرضا فاضطروا الى استئجار الاراضى من ملاك الاراضى ، وكانوا يقدمون اكثر من نصف محصولاتهم الى ملاك الاراضى . وكان لا يسمح للفلاحين بمغادرة الاراضى المستأجرة ، بينما يمكن لملاك الاراضى ان يهدوا او يعطوا أراضيهم لأى شخص آخر ، كما يحلو لهم .

الطبقة الحاكمة

انقسمت طبقة ملاك الاراضى منذ عهد أسرتى وى وجين الى قسمين ، النبلاء وعامة الشعب . وشهد هذا النظام فى عهد أسرة جين الشرقية تطورا كبيرا . كانت أسر النبلاء تحتل مكانة عالية فى السياسة ، واستأثرت بمساحة واسعة من الاراضى والايدى العاملة . كان المنحدرون من أسر النبلاء يتقاسمون الحقوق السياسية حسب نسبهم وقولوا جميع المناصب الحكومية الهامة أبأ عن جد . اما من يأتون من العامة فلم يكن امامهم الا الوظائف العادية باستثناء من سجلوا مآثر عسكرية . كانت أسر النبلاء تهتم بنسبها وهوياتها من اجل المحافظة على مراكزها الاجتماعية ، اذ فرضت على أبنائها قيودا صارمة : منع الزواج من عامة الشعب أو الجلوس معهم او ارتداء الملابس المشابهة لملابسهم او حتى التعامل معهم .

وكان أولئك الارستقراطيون غارقين في الترف والتبذير ، فشكّلوا طبقة طفيلية في المجتمع . ثم أخذت سلطة أسر النبلاء ، بدءاً من أواخر سني « الاسر الجنوبية » ، تشير على طريق الانحدار ، مما أتاح للأسر العامة ان تملك بزمام السلطة من يدها .

اندماج القوميات المختلفة

بعد ان وحدت أسرة وي الشمالية مناطق النهر الاصفر ، بدأ السواد الاعظم من أهل الاقليات القومية يتحولون من الحياة المتبدية الى حلبة الانتاج الزراعي ومن هنا تعلم ابناء قومية هان منهم تربية المواشي . وقد ازدادت التمايلات والصلات بين ابناء القوميات المختلفة في مقاومة اضطهاد واستغلال حكامهم . وتجاه وضع اندماج القوميات قبل حكام أسرة وي الشمالية اقتراحات ملاك الأراضي من قومية هان وقاموا باصلاحات .

وفي سنة ٤٨٥ أعلن الامبراطور شياو ون من أسرة وي الشمالية قانون توزيع الحقول لضمان دخله المالي . ينص القانون على توزيع الرقع الصالحة للزراعة على كل رجل وامرأة (للرجل ضعف نصيب المرأة) ، وتوزيع حقول التوت على الرجل ، وفي المناطق التي لا ينمو فيها التوت يمكن توزيع حقول الكتان على الرجل والمرأة . ووفقاً للتأويل يجب على كل زوجين ان يدفعوا ضريبة الارض الزراعية والحرير أو القماش الى الحكومة سنوياً ، ويتمتع الخلف بالحق في توارث مزارع التوت عن أسلافهم ، اما حقول الزراعة والكتان فتسترجعها الحكومة اذا تقاعد صاحبها او مات . ويفرض على الرجال ان يؤدوا الخدمة العسكرية . ورغم هذه الاعباء فقد جلب النظام الجديد بعض التحسن لمعيشة الكادحين في شمال الصين على اساس التطور الاقتصادي .

كما اتخذ الامبراطور شياو ون سلسلة من التدابير الرامية الى تعجيل عجلة التطور الاجتماعي : انتقال عاصمته الى لويانغ - المدينة المشهورة بتاريخها العريق - في عام ٤٩٤ م ، وذلك للاستفادة من ثقافة قومية هان المتقدمة وتدعيم الاتصالات بكبار ملاك الأراضي من قومية هان في وادي النهر الاصفر . ثم طلب هذا الامبراطور اضافة الى ما ذكرنا سابقاً من ارستقراطي قومية شيانبي ان يتخذوا اسماء العائلات الهانية ، ويتزوجوا معها ، ويرتدوا الى الديانة الهانية

النمط ، وأن يتكلموا بلهجة قومية هان . والاهم من هذا كانت سلطة وى الشمالية تتبع ما طبقته الطبقة الحاكمة لقومية هان من الانظمة السياسية .
ومما لا ريب فيه ان ما قام به الامبراطور شيانغ ون من الاصلاحات سارع في دخول الاقليات القومية في النظام الاقطاعى واندماج القوميات المختلفة في شمال الصين .

الانتفاضة في شمال الصين

يرتبط تطور الاقتصاد الاجتماعى بتضخم نفوذ ملاك الاراضى في أسرة وى الشمالية ، فلم يستطع القانون الجديد لتوزيع الاراضى منع الاتجار في الاراضى والاستلاء عليها . وكان عدد ملاك الاراضى الذين يمتلكون الاراضى الخصبة بمساحات هائلة في ازدياد مطرد ، وكان هؤلاء الطفيليون غارقين في حياة الفساد على حساب عرق ودم الشغيلة .

وقد اقامت هذه الاسرة الملكية بعض المنشآت العسكرية في حدودها الشمالية ، وخصصت جيشا جزارا يربط في داخلها . ولكن كان زعماء قوات التخوم يسعون الى الاستلاء على الاراضى الخصبة ، ويستعبدون جنودهم ، ويختلسون العتادسكرى . وكانت حياة الجنود شاقة لا تطاق . وفي عام ٥٢٣ اندلعت انتفاضات ابناء الشعب والجنود من شتى القوميات ، سرعان ما اكتسحت مناطق الحدود الشمالية وشمال سور الصين العظيم حتى مناطق شنشى وقانسو ونيونغشيا . ولكن الانتفاضات اسفرت عن الفشل بعد ان دامت سنتين بسبب عدم مقدرتها في مقاتلة العدو الذى يفوقها عدة وعددا .

واللحيلة دون انتفاضة جديدة كان حكام أسرة وى الشمالية يحاولون تهجير المتمردين الاسرى البالغ عددهم مئتى الف الى كل ارجاء خبى ، ولكن الامر لم يسر كما كان متوقعا . ففي اغسطس عام ٥٢٥ انفجرت من جديد انتفاضة خاضها هؤلاء المضطهدون بالمشاركة مع الاهالى في شانغفو (يانغتشينغ الحالية في ضاحية بكين) ، واحتلت قوات الانتفاضة بعض المحافظات والولايات المجاورة .

ولم تمض على ذلك الا ثلاث سنوات حتى ازداد عدد جيش الانتفاضة الى مئات الالوف . وقد انزلت الانتفاضة الشعبية ، رغم انها لم تنتج ، ضربات

مبرحة بحكم الاستقراطيين من قومية شيانبي ، وكذلك اضعفت نفوذ ملاك الاراضى من قومية هان وزلزلت اركان حكم أسرة وى الشمالية التى اصبحت بعد ذلك أثرا بعد عين . ان هذه الانتفاضة عززت العلاقة الكفاحية بين ابناء مختلف القوميات ، وزادت من سرعة اندماجها فى الحضارة .

الثقافة فى عهد « الممالك الثلاث » واسرى جىن الغربىة والشرقىة والاسر الجنوبىة والشمالىة

شهدت الصين فى هذه الحقبة التى تغطى عهد الممالك الثلاث واسرى جىن الغربىة والشرقىة والاسر الجنوبىة والشمالىة تطورا فى الاندماج الاجتماعى والثقافة والعلوم بفضل اندماج القومىات المختلفة وتعميم الزراعة من شمال الصين الى جنوب نهر اليانغتسى وجهود ابناء القومىات المختلفة .

الرياضيات

يعتبر تسو تشونغ تشى (٤٢٩ - ٥٠٠) رياضيا كبيرا فى تاريخ الصين ، وقد قدم مساهمات فى مجالات علم الفلك والتقويم والميكانيكا . واكبر ما قدمه من مساهمات فى العلوم هو ايجاد النسبة التقريبية لمحيط الدائرة (ط) . وقد اولى علماء الرياضيات الصينيون اهتماما كبيرا بالعلاقة بين محيط الدائرة وقطرها ، وقام كثير منهم بالدراسات حول هذا الموضوع . وفى عهد الممالك الثلاث توصل العالم ليو هوى الى رقم ٣١٤١٦ وهو اذق رقم فى عصره . وعلى هذا الاساس توصل تسو تشونغ تشى فيما بعد الى رقم اكثر دقة : بين ٣١٤١٥٩٢٦ - ٣١٤١٥٩٢٧ ، وهو اول عالم فى تاريخ العالم توصل الى سبعة ارقام عشرية فى حساب النسبة التقريبية المذكورة . وذلك سبق ما

توصل اليه علماء اوربا من نفس النتيجة بالف ومئة سنة . استمر كتاب « تشويشو » في الرياضيات ، الذى الفه تسو تشونغ تشى يستخدم مادة تعليمية طوال عهد اسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧) بالصين ، وكذلك في اليابان وكوريا في المصور الوسطى .

كان جيا سى شيه عالما زراعيا بارزا ، قام بالدراسات المستفيضة لكمية كبيرة من المعلومات والمأثورات الشعبية عن الزراعة ، كما قام باستقصاءات وبحوث ميدانية مع الفلاحين الكبار في السن والمشتغلين بالزراعة في ايامه ، وكتب كتابا بعنوان « تشيمين ياشو » حول الزراعة بين عام ٥٣٣ - ٥٤٤ ، يقع في عشرة اجزاء من ٩٢ فصلا ، ويمالج تقريبا كل موضوع عرف عن الزراعة : انتقاء البذور وقمعها واستخدام السماد والمناوبة بين المحاصيل وزراعة المحاصيل المتنوعة كالخضروات والفواكه والاشجار الاخرى ، وتربية الحيوانات الأليفة والطيور . كما يتطرق الكتاب الى تربية الاسماك وصنع النبيذ ومعالجة المنتجات الزراعية . وأكد المؤلف على انه يجب مراعاة القانون الطبيعى اذا ما اراد المراء الحصول على محصول افضل بمجهود اقل . ويجب ان تلائم المحاصيل الظروف المحلية ، وان تؤدى الاعمال الزراعية في وقتها الصحيح . ودعا المؤلف الى تحسين التقنية والادوات الزراعية . كما لخص المؤلف تجارب القوميات المتبدية في شمال الصين في تربية المواشى ، وحفظ بذلك كثيرا من المعلومات القيمة في هذا المجال .

ان كتاب « تشيمين ياشو » اقدم ما حفظته الصين حتى اليوم من كتب الزراعة ، كما انه من اقدم واكبر الكتب في تاريخ الزراعة العالمى .

الجغرافيا

كان لى دو يوان (٤٦٦ او ٤٧٢ - ٥٢٧) عالما بارزا في الجغرافيا في الصين القديمة ، دون ملاحظات على كتاب « شوى جينغ » الذى تم تأليفه في أواخر عهد أسرة هان الشرقية ، والذى يصف بايجاز ١٣٧ نهرا ، منها نهري اليانغتسى والنهر الاصفر . وذلك على اساس متابعته للمظاهر الجغرافية ومراجعته لما سجلته الكتب القديمة . وقد اضاف العالم لى دو يوان الى « شوى جينغ » معلومات كثيرة وسجل تفاصيل شاملة لاكثر من الف نهير وقناة رى ، واطلق

على ملاحظاته عنوان « ملاحظات شوى جينغ » الباقية حتى اليوم .
 تقع « ملاحظات شوى جينغ » في ٤٠ جزءا من ٣٠٠ الف كلمة . راجع المؤلف في ملاحظاته اكثر من ٤٠٠ نوع من الكتب التاريخية والسجلات القديمة ، ويصف فيها بدقة توزيع الانهار والقنوات والبيئة الطبيعية والمنتجات المحلية والاماكن الأثرية والسياحية والتغيرات الجغرافية التي طرأت على الصين في الازمنة القديمة والاساطير التاريخية . وفيها بعض المعلومات عن احتياطات المعادن وآبار الملح والينابيع الحارة والبراكين . وهو بحق يعتبر اهم مرجع قديم حول الجغرافيا ولا يزال مفيدا كمرجع في تخطيط مشروعات خزانات المياه واكتشاف الموارد . وتعود شهرة الكتاب ايضا الى اسلوبه الرائع ، فهو مؤلف ادبى عظيم الاهمية .

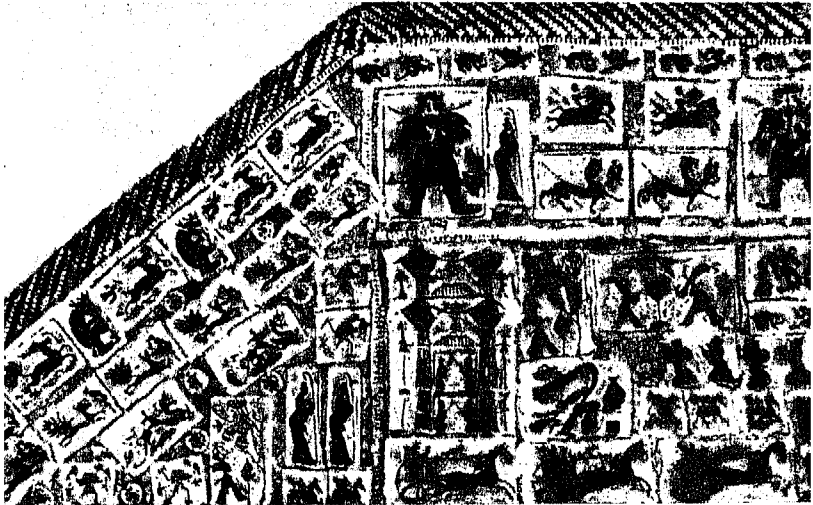
البوذية ونظرية « فناء الروح »

شهدت البوذية في أواخر عهد أسرة هان الغربية انتشارا في الأسر الشمالية والجنوبية (٤٢٠ - ٥٨١) ، اذ اعتنقها كثير من الاباطرة والوزراء الذين بنوا عددا كبيرا من الاديرة في مناطق مختلفة ، حيث عدد كبير من الرهبان والراهبات . كانت البوذية تحتل مكانة عالية في السياسة . وفي عام ٣٩٩ انطلق الراهب فاشيان من تشانغآن (شيآن الحالية) الى شمال الهند ثم الى سيلان عن طريق وسط الهند ، مرورا بـ « المنطقة الغربية » (منطقة غرب يومنقوان في عهد أسرة هان ، وتضم شينجيانغ وآسيا الوسطى الحالية) . وبعد ذلك عاد الى الصين عن طريق البحر . وفي عام ٤١٣ وصل الى تشانغآن عاصمة أسرة جين وقتذاك . وقد ترجم كتباً بوذية مقدسة كثيرة ، والى كتابا بعنوان « البلدان البوذية » الذى يعتبر عملا هاما لدراسة تاريخ « المنطقة الغربية » والهند في ذلك العهد .

وفى تلك الحقبة كان عدد غير قليل من الناس يعارضون البوذية ، أشهرهم فان تشين (حوالى ٤٥٠ - ٥١٥) ، وهو فيلسوف ماضى بارز . تؤمن البوذية بفناء الجسد وخلود الروح والتناسخ ، فاذا كان الانسان يتحمل الحياة البائسة ويؤمن ببوذا كل الايمان ويتصدق بأملكه على الاديرة استطاع ان يحيا حياة سعيدة فى الحياة الاخرى . وتجاه رأى البوذية الباطل كتب فان تشين مقالة مشهورة

أسرة هان الشرقية الملكية

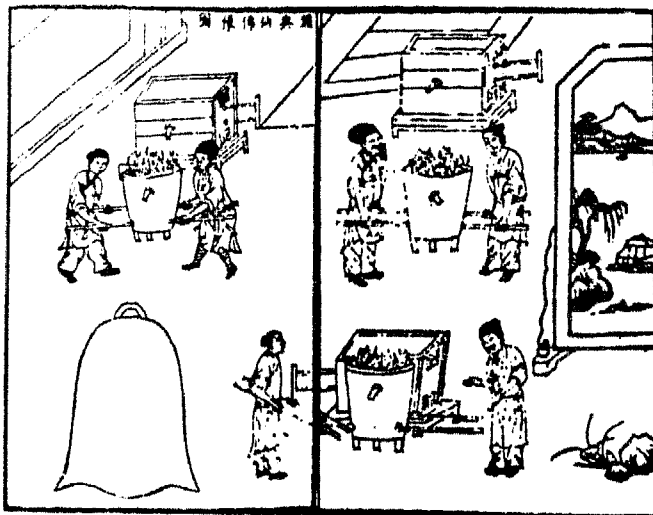
صورة ليو بان أول
الاباطرة في أسرة هان
(٢٠٦ ق.م. -
٢٥ م)



نسخة من الرسوم المخزوفة للطوب الخوف ..
اكتشفت في قبر هان في تشينغشو بجنان



رسوم حريرية في عهد أسرة هان الغربية (الى اليسار) . والى جانبها الايمن رسوم
مقلدة لها . كانت مدفونة في جبل العصفور الذهبي . . مقاطعة شاندونغ



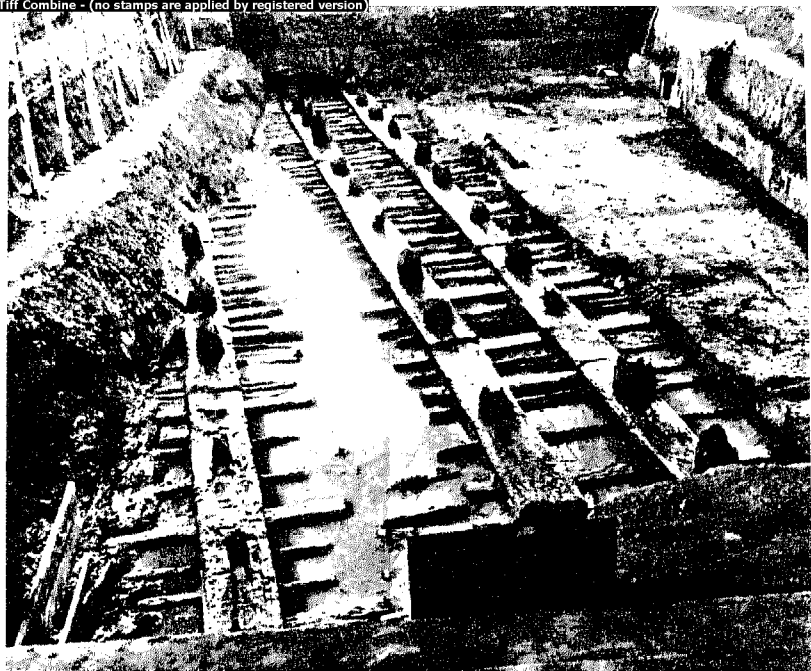
رسم توضح عمليات الصهر



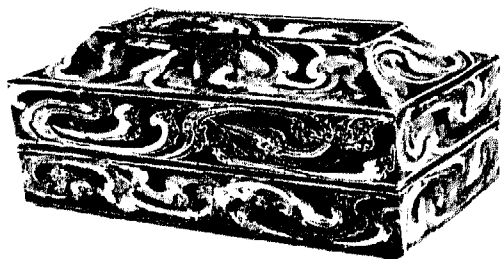
أدوات حديدية في عهد أسرة هان الغربية منها مرجل .. مجرفة .. معول ..
شظايا وعاء .. يد هاون .. معزقة .. محراث ..



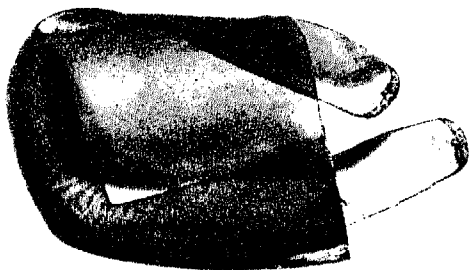
لوحة تظهر حالة صهر الحديد

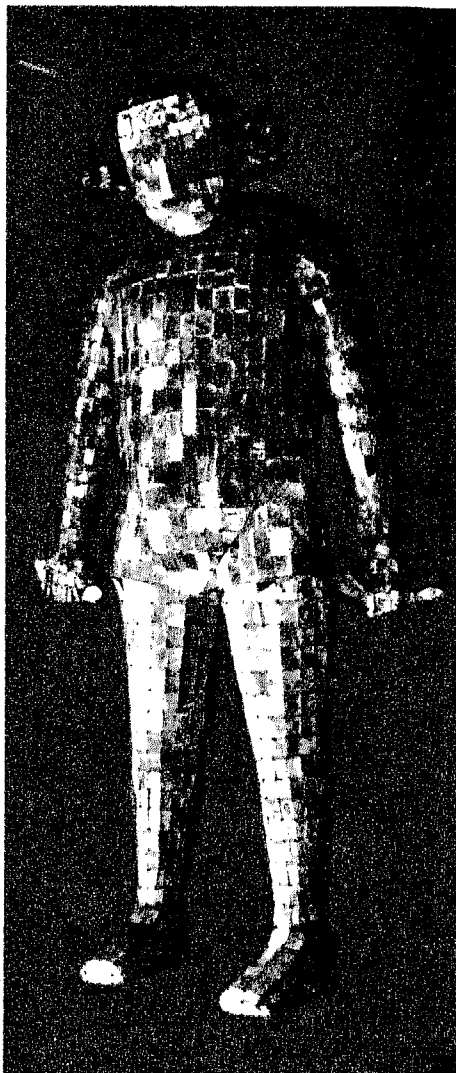


موقع أثرى من ترسانة في الفترة ما بين أسرى تشين وهان



قبة حريرية مع علبتها المطلية
باللؤلؤ .. اكتشفت في قبر
هان رقم ٣ في ماوانغدوى
بمدينة تشا تشا .. هونان





اكفان يشمية محاكة بخيوط الذهب . . كل كفن من اكثر من ٢٠٠٠ شريحة
يشمية . . عثر عليها في مانغتشغ — خبي . . ترى في الصورة اثنتين من المتوجات
المقلدة لها



رسم مقلد لجداريات دونهوانغ .. يظهر مشهدا من رحلة
تشانغ تشيان الى المناطق الغربية



قبر هو تشيوى بينغ — احد القادة العسكريين المشهورين فى أسرة هان
الشرقية .. محافظة شينينغ بمقاطعة شنشى



اسرة هان الغربية الملكية

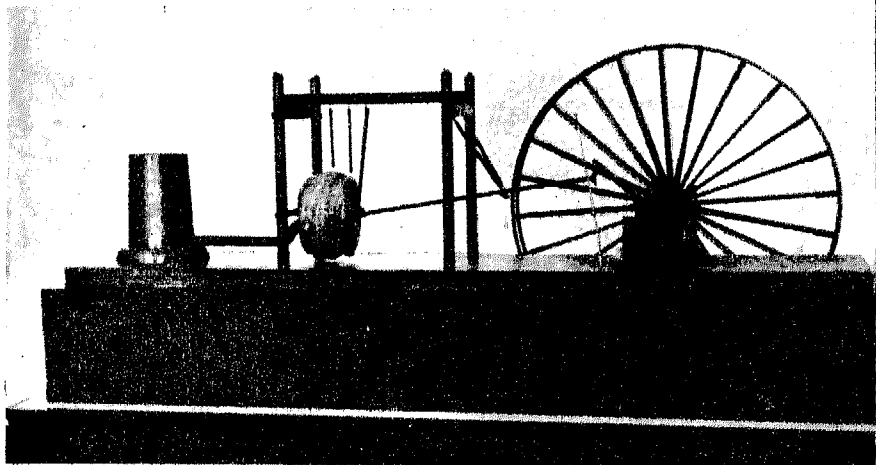
حراث الارض (نقش حجري)

رسوم الرقص والموسيقى مزركشة على
وجوه الطوب . . اكتشفت في قبر هان
الشرقية في تشغندو — سينشوان





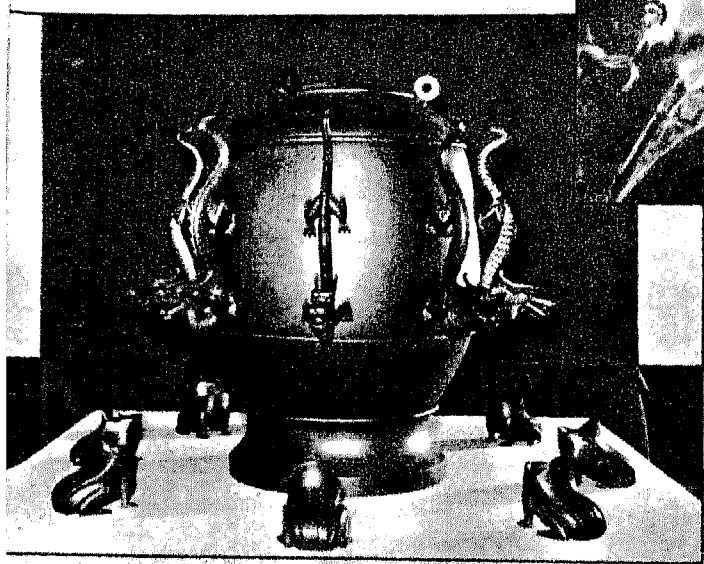
جدارية منقوشة تظهر مشهدا من جمع اناوة الحبوب
من المزارعين . . اكتشفت في قبر هان بمحافظة
سي — خنان



نح من التوربين المائي الذي كان يستخدم في صناعة
سهر في عهد أسرة هان الشرقية



صورة هوا توه — الطبيب المعروف في عهد
الممالك الثلاث



تشانغ هنغ — مع محتوّه .. مرسمة زلزالية



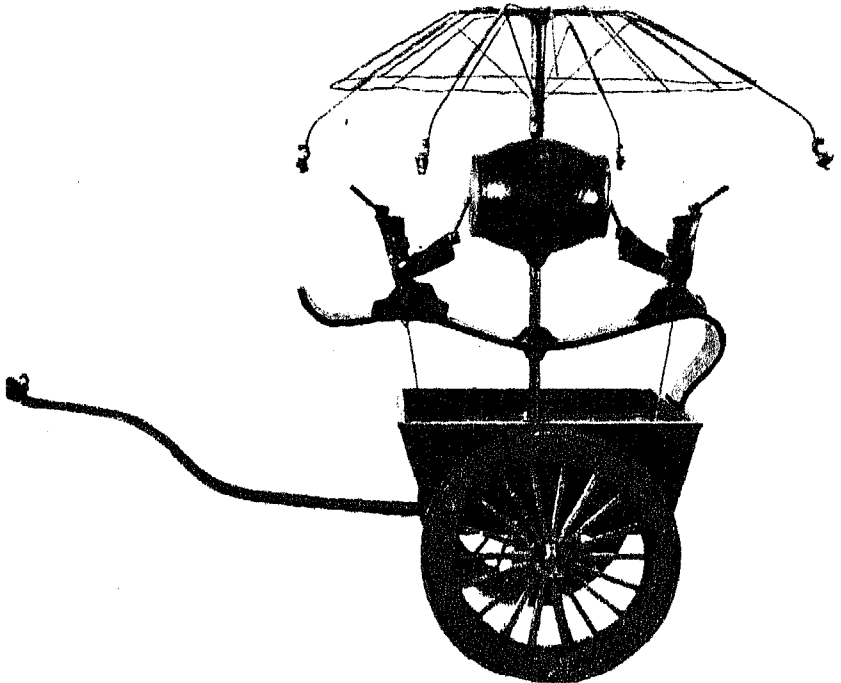
حصان برونزى مع طير تنين يعود لعهد أسرة
هان الشرقية . . اكتشف فى ليتاى بمحافظة وو
وى فى مقاطعة قانسو

راقص .. مغن

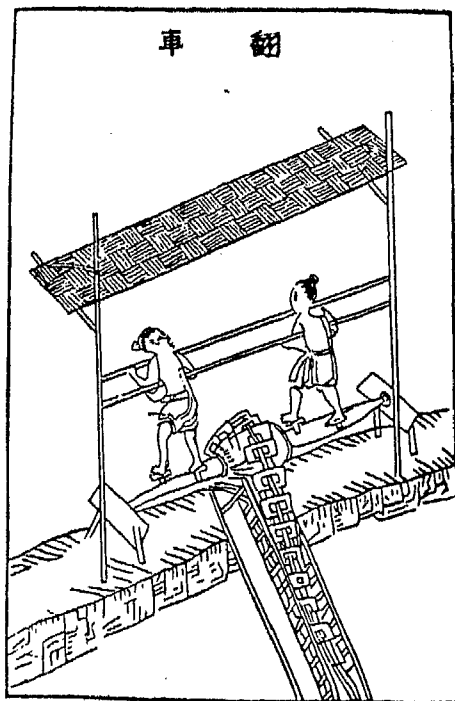


المالك الثلاث واسرة جين الشرقية

عربة نقياس المسافة التلقائي . . كلما قطع نصف كيلومتر طرق انسان خشبي الطبل
طريقة واحدة يجرها حصانان ، في أسرة جين



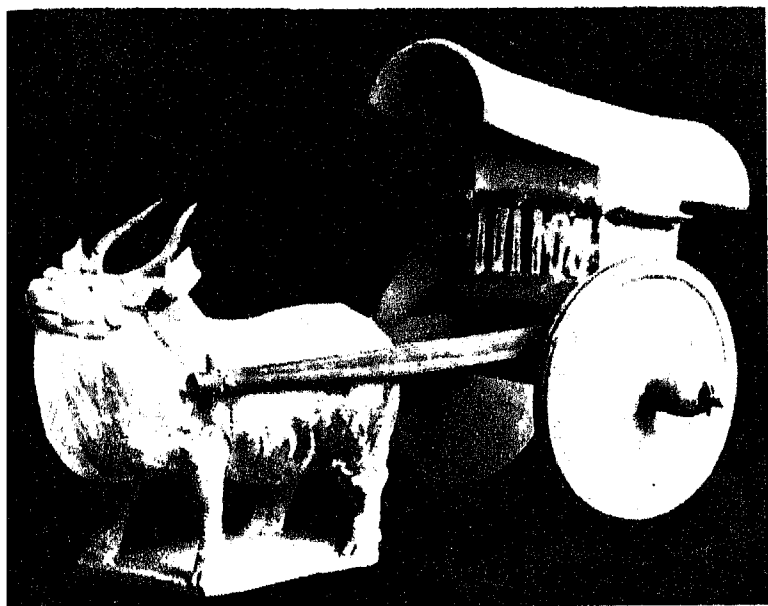
طوبه عليها صورة حصان مع السائس . . في أسرة جين (٢٦٥ — ٤٢٠)
من مطبوعات قرية شيوى بمحا فظة دنغ مقاطعة خنان



ناعورة في عهد المالك
السلالات — أسرة جين
الشرقية



الحداريات تمكس حياة احد الارستقراطيين في أسرة جين الشرقية ..

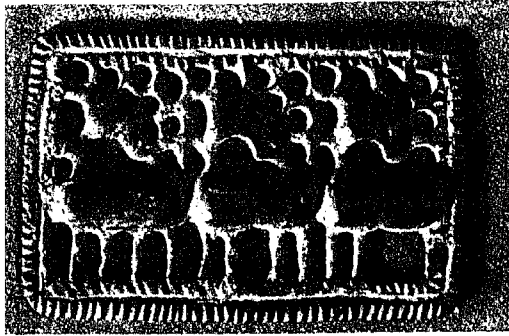


عربة خزفية مع بقرة خزفية في عهد أسرة تشي الشمالية .. من قبر
تشانغ شياو في تايوان بمقاطعة شانشي



عازفة من قبر أسرة وي الشمالية . . مدينة شيآن . . شنشي

ختم الامبراطور النحاسى . . اكتشف
فى قبر قومية شيانبه . . من محافظة
تومتى — منغوليا الداخلية



لوحة نحاسية عليها تصاميم ثلاثة
أبائل



جرة خزفية اكتشفت فى قبر
من مقبرة فى أسرة
الجنوب . . من مانتشان —
بينغبا — قويتشو

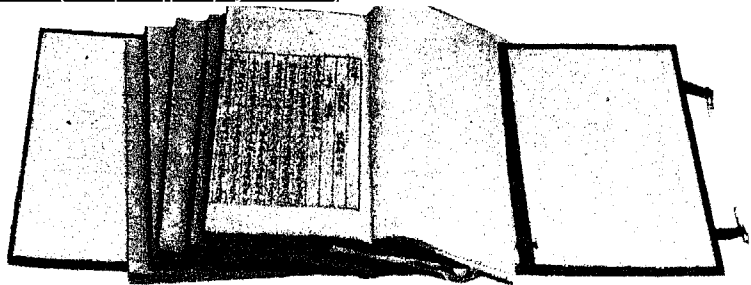


تمثال سو تشون تشى الرياضى العظيم



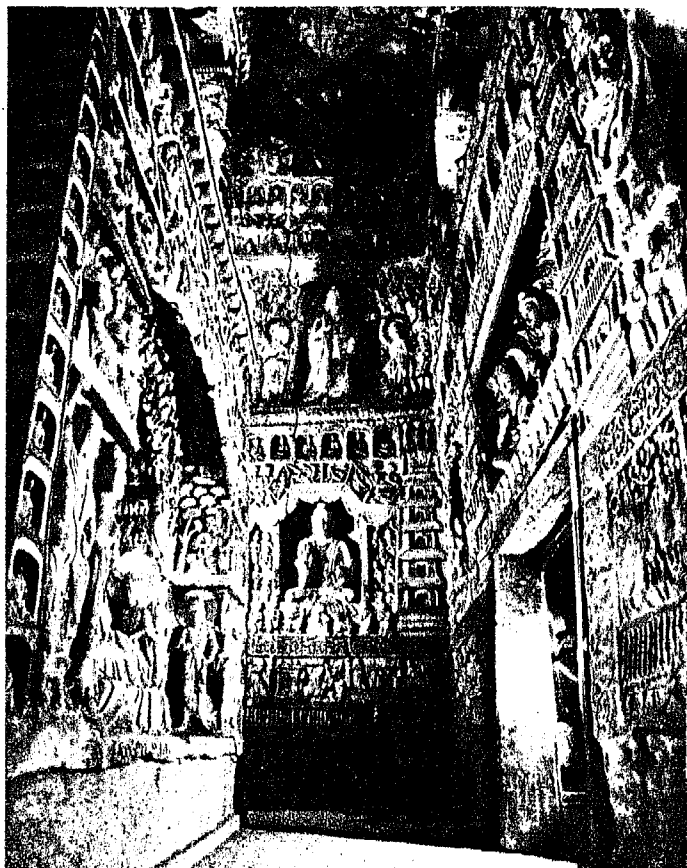
جزء من رسوم « نزول الالهة لوه الى الدنيا » — مقلدة . . أصلها بريشة قو كاي
تشي وقسم من رسوم « مجموعة من مسؤولات البلاط الامبراطوري »





المجلد الحادى عشر من مؤلفات « مجا رى المياه » التى كتبها لى داويوان
فى اسرة وى الشمالية

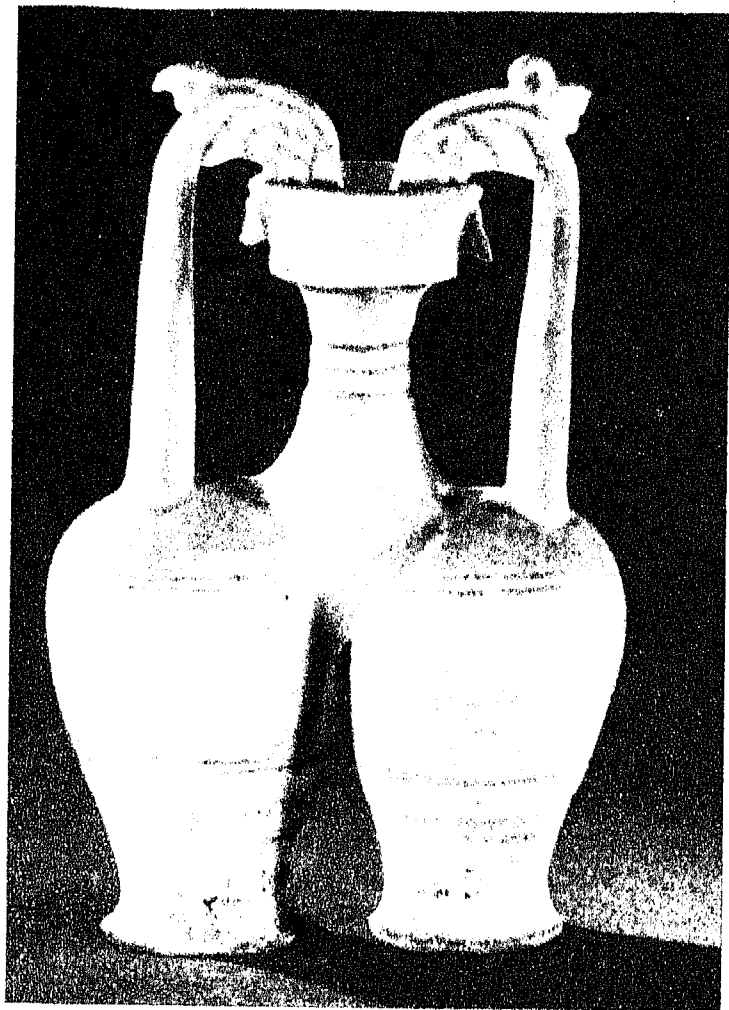
منظر داخل الكهف — ٦ فى كهوف يونقان



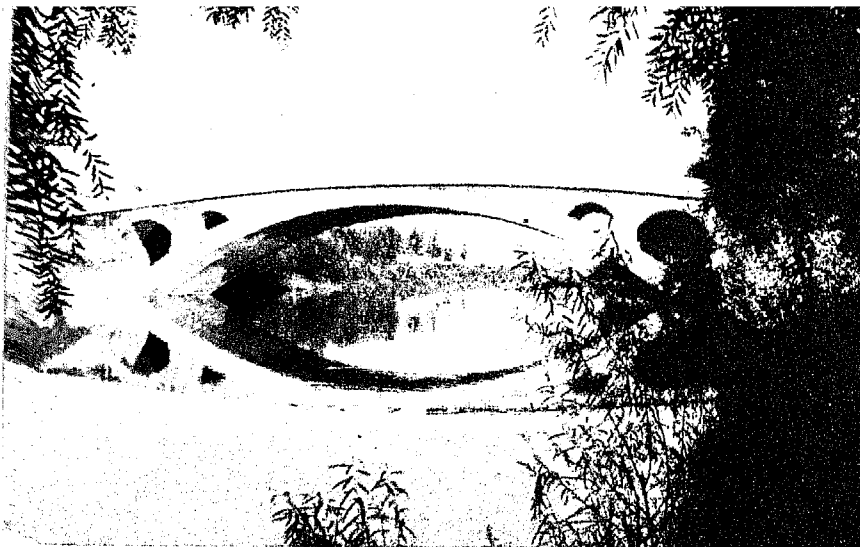


تمثال بوذا في الكهف — ٢٠ من كهوف يونقان . . مدينة داتونغ . . مقاطعة شانشي

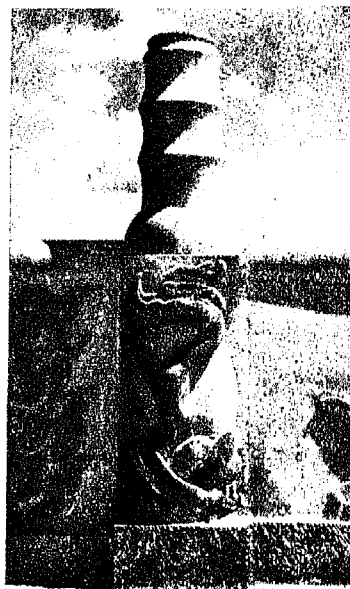
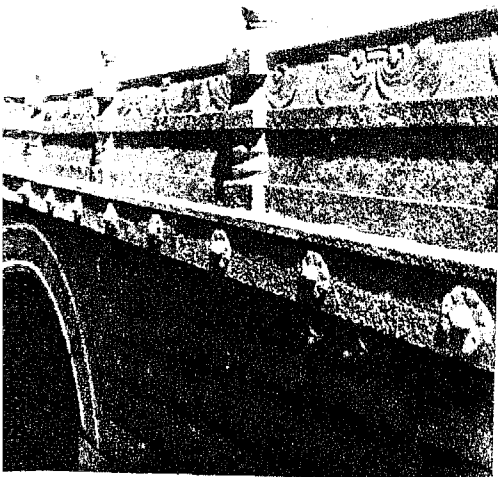
اسرة سوى الملكية



دن خمر في أسرة سوى



جسر تشاو تشو الحجرى فى خبي .. أقدم
الجسور فى العالم



دريزينات الجسر



مشهد من جولة الامبراطور سوى يان دي التفقدية الى جنوب اليانغتسي

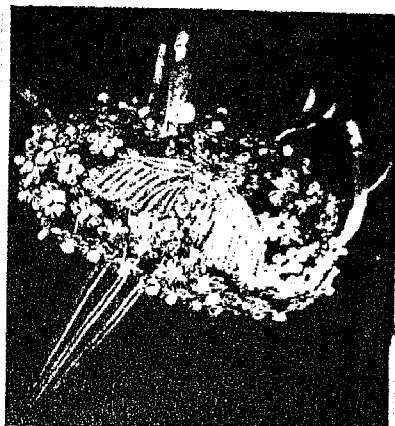
اسرة تانغ الملكية



صورة الامبراطور تاي تسونغ في اسرة تانغ



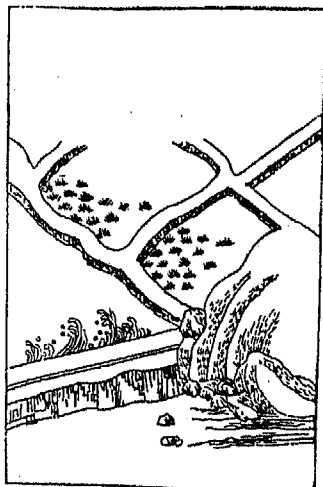
مرآة نحاسية في اسرة تانغ



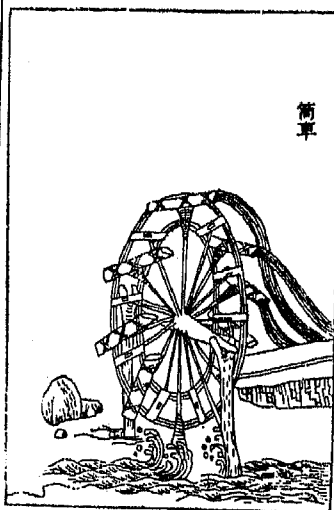
زينة ذهبية شائعة بين النساء في
أسرة تانغ... من قبر
قديم — مدينة شيان



اطباق فضية فيها عقاقير طبية في قرية عجيا — شيان



ناعورة



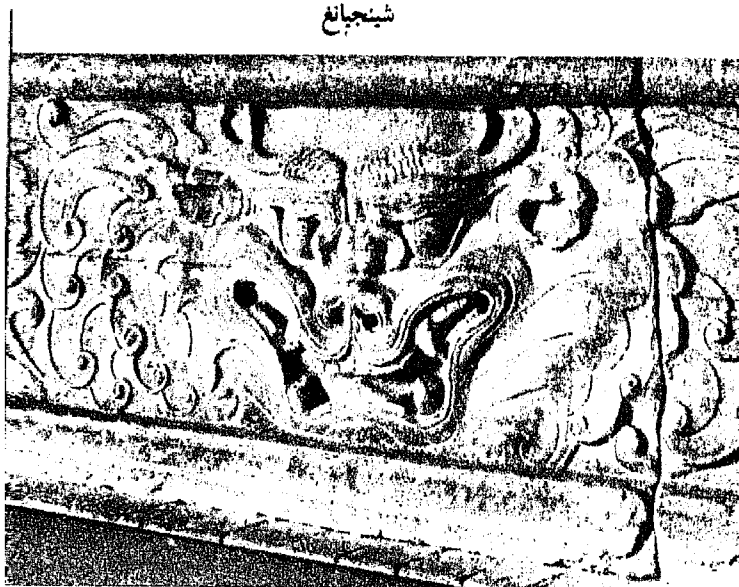
筒車



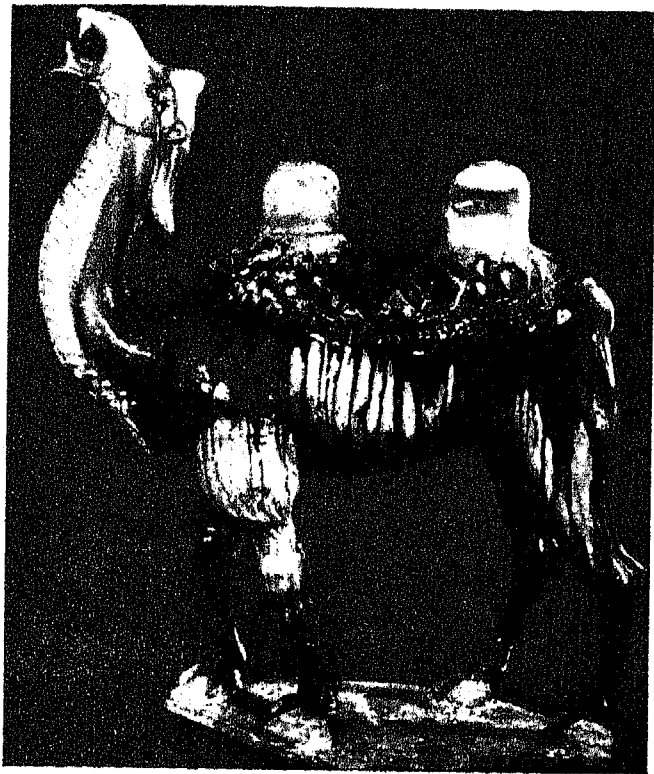
قطعة من القماش الحريري الابيض
الخطوط . عثر عليها في توربان —
شينجيانغ



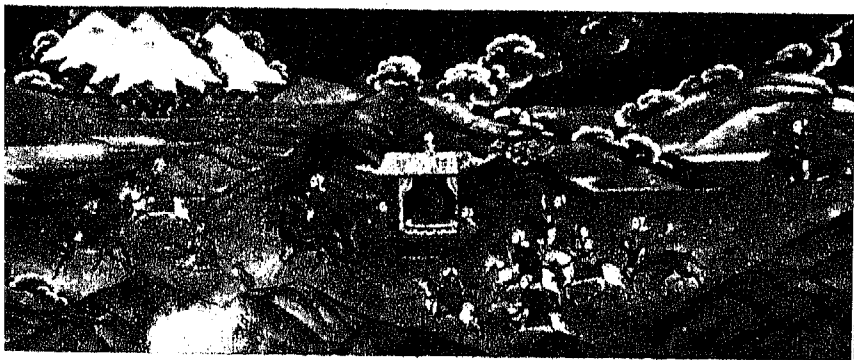
مرأة في اسرة تانغ . . من لويانغ . .



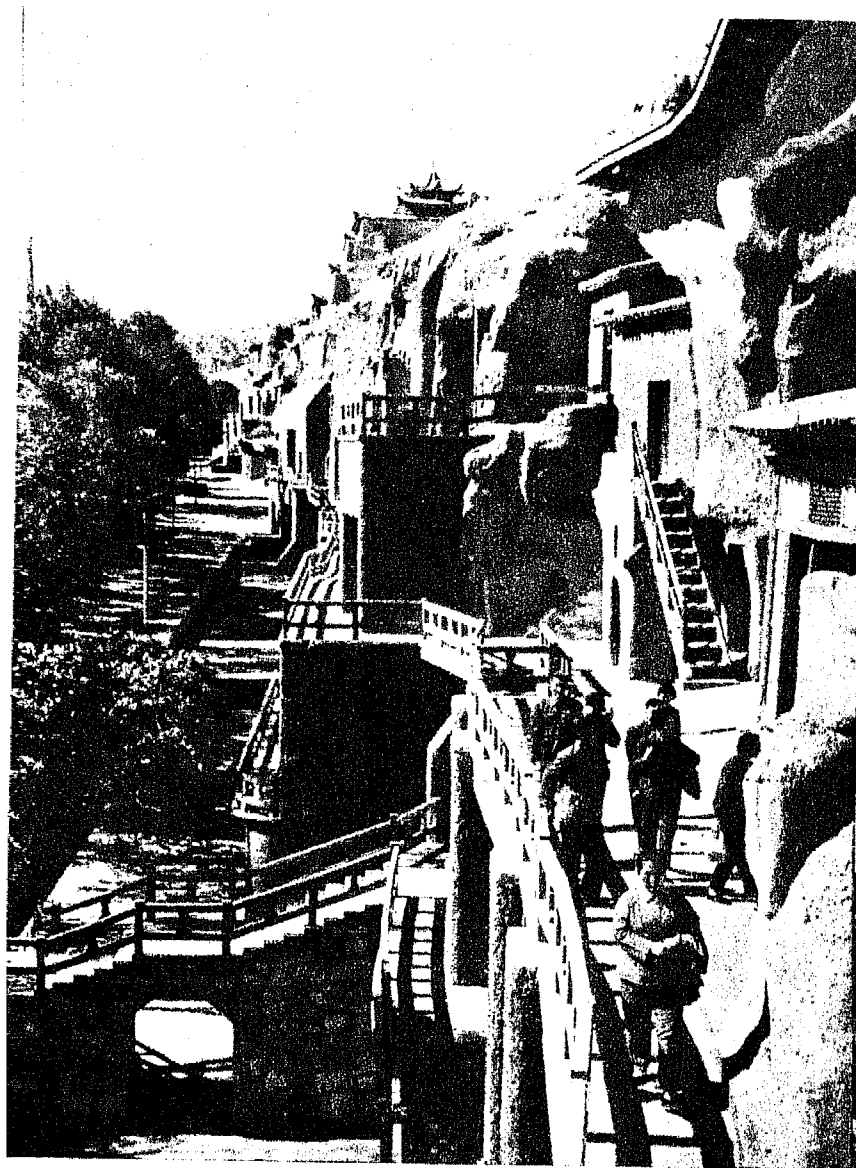
منحوتات جدارية



حصان ثلاثى الالوان فى اسرة تانغ



الصورة تظهر مشهدا من توجه الاميرة ون تشنغ الى التبت . . جدارية فى معبد
داتشاو فى لاسا بالتبت



منظر خارجي لكهوف مقاو المومة .. دونغها .. قانسو

تسن اى شن الفلكى المشهور

فى اسرة تانغ



صورة لى ناي الشاعر العظيم فى اسرة تانغ

李太白詩集卷之六



سون مى مى الطبيب العظيم فى
اسرة تانغ

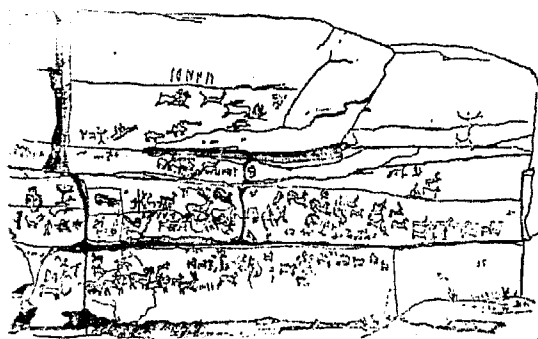
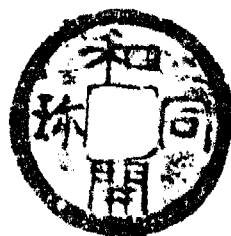


صورة دوفو الشاعر العظيم فى
اسرة تانغ





نقد ذهبي من روما الشرقية . نقد فضي من بلاد الفرس . نقد فضي من اليابان . من مكتشفات شيان



نسخ طبق الاصل للمنقوشات
الحجرية .. اكتشفت في شمال غربي

اخراج كتابية من كوريا



الصين

和全有子叔士

那府其子四能為捕魚故得居焉
共制龜永於龜嶺村
石州北橋邊

丁姓事却尉

尉陝西鄉亭堂伯牛於已
王武裝乃領或頭早來渝
就院前者茂於林允仰車過於路
前中

شهادة تعيين الضباط المسؤولين في مناطق الحدود . . في أسرة تانغ



برج داباو في شيان—بني في سنة ٦٠٢ في أسرة تانغ

ب عنوان « فناء الروح » ، ضمنها افكاره - الالحاد . فيرى ان الجسد والروح كائن واحد . فعندما يفنى الجسد تفنى معه الروح . وقال ان سبب وجود الروح يعود الى ان الجسد حى ، وبدون الجسد لا تعيش الروح ، مما كشف اطماع الحكام الذين يخدعون الشعب باستخدام البوذية . فعباً الامبراطور شيائو تسي ليانغ حشداً من الرهبان والمثقفين لمساجلة فان تشين ، بيد انهم لم يستطيعوا هزيمته . وبعد ذلك ارسل الامبراطور واحداً من اتباعه الى فان تشين ليقول له : اذا تخلى عن رأيه فسيعينه الامبراطور مساعداً لرئيس الوزراء . فأجاب فان تشين ضاحكاً : « لو كنت ابيع افكارى لقاء منصب رسمى لكنت قد تسلمت اعلى المراتب منذ زمن بعيد . » . وبعد ذلك جند الامبراطور وو دى من أسرة ليانغ اكثر من ٦٠ من النبلاء والحكام الذين كتبوا اكثر من سبعين مقالة لتفنيد آراء فان تشين الا ان فان تشين لم يهزم .

الخط والادب والفن

لدى أى ذكر للفنون يجب ان يذكر الخط اليدوى الذى تطور الى فن فى أواخر عهد أسرة هان الشرقية . بذل تشونغ يو (١٥٠ - ٢٣٠) جهوداً جبارة فى تغيير اسلوب « ليشو » الى اسلوب « كايشو » الاسلوب المتوازن المنسجم بخطوط منتظمة ، وذلك فى عهد الممالك الثلاث . وفى أسرة جين الشرقية استمد وانغ شى تشى اروع ما لدى الخطاطين الآخرين وأبدع اسلوباً خاصاً به ، بعيداً عن تأثير « ليشو » ، ووصل الى قمة الاتقان . كما ان ابنه وانغ شيان تشى الذى اتبع خط ابيه منذ طفولته كان خطاطاً يشار اليه بالبنان ، ويعرف الاب والابن على انهما « الوانغيان » .

والرسم تاريخ عريق فى الصين . وقد ازداد عدد الرسامين فى عهد أسرة جين الشرقية كثيراً ، ويعتبر قو كاي تشى أشهر رسام فى تلك الحقبة . وثمة حكاية تدور حوله : عندما كان شاباً تمهد بأن يجمع أموالاً لبناء دير جديد . وظن كثيرون انه لا يجيد سوى الكلام الطنان ، ولا يستطيع تحقيق ذلك . فقضى شهراً يرسم مشهداً بوذياً على جدار فى الدير ، واقترح على الرهبان ان يطلبوا من الزائرين ان يقدموا هبات . فأغرى الرسم النابض بالحياة كثيراً من الزوار لمشاهدته . وسرعان ما جمع الدير المبلغ المطلوب . وانجز الرسام قو كاي

تشى اعمالا كثيرة ، ولكن لم يصلنا سوى نسخ لاثنتين منها ، وهما « نصيحة
المعلمات الى سيدات البلاط » و« ربة نهر لو » . وكل منهما يعتبر من كنوز
فن الرسم القديم نظرا لما يشع منهما من حيوية وتناسق رائع فى تصوير الشخصيات
المختلفة ويبتها .

وفى عهد الاسر الجنوبية والشمالية ورث فن النحت تقاليد اسرتى تشين وهان ،
واستمد مزايما الفن من الخارج ، خاصة من الهند . وعلى هذا الاساس ظهر الفن
الكفهى الذى جمع النحت والرسم معا . كان الحكام وقتذاك يجبرون الشعب الكادح
على حفر الكهوف الحجرية فى مناطق عديدة فى سبيل ترويح البوذية . وتعتبر
كهوف يونقانغ فى مدينة داتونغ بمقاطعة شانشى اكبر مجموعة منها ، حيث
تمائيل كثيرة مختلفة الاحجام لبوذا . وفى الكهف العشرين من هذه المجموعة
تمثال ضخيم ، ارتفاعه ١٣ر٧ م ، ووجهه ممتلئ وكشفه عريضتان ، وهو عمل
نموذجى فى كهوف يونقانغ . وفى بعض الكهوف حفرت على الجدران تماثيل ،
وعلى سقفها تماثيل للحوريات مختلفة الاشكال تطير وترقص فى الفضاء مثل
السحب التى تسبح مع الريح او الاسماك فى المياه . ان كهوف لونقانغ كنوز
لفن النحت الصينى القديم . وكذلك هى حال كهوف لونفنغ فى مدينة لويانغ
بمقاطعة خنان .

وفى مجال الادب كان تار يوان مينغ شاعرا مشهورا استقال من منصبه
كموظف صغير بسبب سخطه على المظالم السياسية فى عصره . فعاد الى يتيه
حيث عاش فى عزلة . وقد كتب كثيرا من الاشعار التى تصف المناظر والحياة
الريفية . ووصف فى قصيدته « تاوهوا يوان جى » جنة خيالية ، يعيش فيها كل
انسان معيشة رغيدة ، وذلك عكس مثله العليا وكراهيته للوضع الظالم الذى كان
يعيش فيه .

وفى عهد الاسر الجنوبية والشمالية شهدت الاغاني الشعبية تطورا جديدا ،
وخاصة ان الاغاني الشعبية فى شمال الصين عكست حياة القوميات المتبدية ومشاعرها ،
وأسلوبها يمتاز بالقوة والبساطة الحيوية . ومن بين هذه الاغاني « انشودة
تشيله » المتناغمة التى انتشرت فى ارجاء واسعة . وجاء فى الانشودة : تقلل جبال
ينشان على مروج تشيله ، قبة السماء مثل خيمة فوق مروجنا الواسعة ، واسعة
هى السماء ، شاسعة هى البرارى ، تلفح الريح الكلا ، فترى شياهانا ودوابنا . .

وثمة قصيدة وصلت إلينا هي «مولان» التي تعتبر أفضل القصائد القصصية في ذلك العهد . وتحكي قصة فتاة ، اسمها هوا لان ذهبت تؤدي الخدمة العسكرية بدلا من أبيها المجوز ، مما عكس بساطة وشجاعة وثبات النساء في شمال الصين ، ولا تزال هذه القصة متداولة واسعة الانتشار الى اليوم .

أسرة سوي

في عهد الأسر الجنوبية والشمالية (٥٨٩ - ٤٢٠) كان أبناء الشعب يتلهفون على توحيد الوطن . كما ان امتزاج القوميات في شمال الصين وتطور الاقتصاد في جنوبها وفرا شروطا لتحقيق التوحيد . وفي عام ٥٨١ استولى يانغ جيان (٥٤١ - ٦٠٤) الذي كان كبير الوزراء في أسرة تشو الشمالية وكان من قومية هان على السلطة ، ونصب نفسه امبراطورا لأسرة سوي الجديدة ، واتخذ لنفسه ، كامبراطور ، اسم ون دي . وكانت عاصمة أسرة سوي في تشانغآن . وفي عام ٥٨٩ شن الامبراطور ون دي حملة الى جنوب الصين واسقط أسرة تشن - الأسرة الأخيرة من الأسر الجنوبية ، مما انتهى وضع تمزق الوطن الذي ظل يسود الصين خلال اكثر من ٢٧٠ سنة منذ أسرة جين الشرقية (٣١٧ - ٤٢٠) .

الاصلاحات وتطور الانتاج في عهد الامبراطور ون دي

كان الامبراطور ون دي اداريا قديرا ، راجع انظمة المهد السالفة وسن انظمة جديدة ، سارت على نهجها الممالك التي جاءت من بعده . وكانت اعادة تنظيم العلاقات بين الحكومات المحلية والمركزية ومركزية السلطة في الأخيرة من بين أهم الاصلاحات السياسية التي تحققت في عهده . فقد ألغى كثيرا من الدوائر الحكومية في مملكة تشو الشمالية واعاد انشاء بعضها والتي ظلت موجودة اثناء عهد أسرة هان ومملكة وي في فترة الممالك الثلاث . كما غير التقسيمات الادارية الدنيا الثلاثة الموجودة آنذاك الى اثنتين - المقاطعات والمحافظات . والجدير بالذكر ان الامبراطور بسط قانون العقوبات والني ممارسات من مثل تقطيع الشخص اربا اربا بخمس عجلات تسير في اتجاهات مختلفة . وبادر الى اصدار نظام اختيار الموظفين عن طريق الامتحان الامبراطوري ، وليس

بالتعيين حسب النسب . وكذلك واصل تنفيذ « نظام توزيع الأراضي » الذى ظل ينفذ منذ أسرة وى الشمالية ، ووزع بعض الأراضي « العامة » الامبراطورية والأراضي البور التى لا صاحب لها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضا . وفى نفس الوقت خفف الضرائب وأعمال السخرة . وخلال عشرين سنة فقط بعد قيام أسرة سوى توسعت رقعة الاراضى المزروعة توسعا هائلا ، وارتفعت المحصولات الزراعية ، وامتلات الاهراء الامبراطورية فى تشانغآن ولويانغ بملايين البيكولات من الحبوب (البيكول : وحدة وزن صينية) . وكذا شهدت الحرف اليدوية تطورا ملحوظا ، وعلى الاخص صناعة بناء السفن ، فقد استطاعت الصين فى ذلك العهد صنع سفينة حربية ضخمة ذات ٥ طوابق تتسع ٨٠٠ فرد .

ولتعزيز المواصلات بين الشمال والجنوب أمر الامبراطور يانغ دى الذى جاء بعد الامبراطور ون دى بشق قناة على اساس ما تم شقه فى السابق ، بتسخير مليونين من الكادحين ، وذلك فى عام ٦٠٥ . وطول القناة ٢٠٠٠ كم ، تربط نهر هايخه والنهر الاصفر ونهر اليانغتسى ونهر تشيانغآن ويمر بالمناطق الواسعة ، ومركزها لويانغ . لقد لعبت القناة دورا حيويا فى التبادل الاقتصادى بين الشمال والجنوب .

وفى ظل الحكم الموحد ازدادت الصلات بين وسط الصين ومناطقها الحدودية اقتصاديا . فقد ارسل الامبراطور يانغ دى رسله ثلاث مرات الى تايوان ، وإلى « المنطقة الغربية » المذكورة آنفا . كان فى تشانغآن ولويانغ كثير من التجار الاجانب الذين جاؤوا من « المنطقة الغربية » ، ولاقوا حفاوة بالغة من سراً سوى .

التطرف والمغالاة

توفى الامبراطور ون دى فى عام ٦٠٤ ، وخلفه فى الحكم ابنه الامبراطور يانغ دى (٥٦٩ - ٦١٨) الذى سيطرت عليه اوهام العظمة واصبح سى السمعة لتطرفه . وقد بنى كثيرا من المشروعات الكبيرة باستخدام ما جمعت الأسرة فى عهد أبيه من الثروة المادية والبشرية . فقرر نقل العاصمة الى لويانغ الواقعة فى مقاطعة خنان الحالية ، وسخر مليونى عامل شهريا فى بناء المدينة وجلب الحجارة والاشخاب من مناطق بعيدة لبناء القصور والحدائق . وكانت الاشخاب

من الضخامة للدرجة ان نقل واحدة منها احتاج الى ٢٠٠٠ رجل ، والى مئات من أيام العمل لنقلها الى لويانغ .

وقد قام الامبراطور بثلاث رحلات ترفيهية على ظهر مركب تينى بهيج فى القناة ، وكان فى حراسته آلاف المراكب التى امتدت خلفه مسافة ١٠٠ كم . كان على السكان على طول الطريق ان يقدموا الطعام لرجال هذا الاسطول .

انتهج الامبراطور يانغ دى سياسة التوسع الاقليمى ، فشن فى عام ٦١٢ هجوما على دولة كوريا المجاورة . بدأت الاستعدادات قبل الهجوم بعام ، واجبر مئات الالوف من الفلاحين المسخرين على استخدام قواربهم لنقل الاسلحة والتموين من خنان الى بكين فى الطريق الى الجبهة الشمالية ، وامتدت قواربهم فى صف يبلغ طوله ٥٠٠ كم على طول القناة . فمات خلق كثير وديست المحاصيل على جانبنى الطريق . واجبر صناع السفن على العمل ليل نهار وقوا فى المياه فى ميناء دونغلاى (فى محافظة ييشيان الحالية) على ساحل شاندونغ الشمالى . ومات ثلاثة من كل عشرة عمال نتيجة الارهاق . ولما ابتداء الهجوم ضد كوريا أرسلت حكومة سوى مليوناً من القوات برا وبحرا ، ولكن الهجوم انتهى بهزيمة منكرة . وفيما بعد ، حاول الامبراطور مهاجمة كوريا مرتين بلا فائدة .

ان طلب الحكومة المستمر للقوة العاملة والعسكرية اجبر آلافا مؤلفة من الفلاحين على هجر ديارهم مما تسبب فى اهمال مساحات واسعة من الأراضى ، واكره الناس على اكل لحاء الشجر وأوراقها واحيانا لحم البشر .

الانتفاضات الفلاحية

أثار الحكم التمسقى للامبراطور يانغ دى الكراهية فى قلوب الناس ، فنشبت فى عام ٦١١ انتفاضة فلاحية فى جبال تشانغباى جنوبى محافظة تسوينغ الحالية شمالى شاندونغ . والحق جيش الفلاحين الهزائم المتتالية بقوات أسرة سوى وازداد عدده الى عشرات الالوف .

حفزت ثورة شاندونغ الآخرين فى بقاع مختلفة من البلاد ، وعدة عشرات منها كانت على نطاق واسع . واستولى المتمردون على المدن والقرى ونفذوا حكم الاعدام فى المسؤولين الفاسدين ، وقمعوا النبلاء . ولقوا تأييدا حماسيا من الشعب . وعبر القتال ضد قوات حكومة سوى ، تجمعت جيوش الفلاحين تدريجيا وشكلت

عدة وحدات كبيرة ، أهمها جيش واقانغ بقيادة تشاي رانغ (؟ - ٦١٧) ، وجيش الانتفاضة في خبى ومنطقة ما بين نهر اليانغتسى ونهر هوايخه .

نما جيش واقانغ من ثورة الفلاحين في واقانغ شمالي مقاطعة خنان . لقد اعترضوا المراكب الامبراطورية للاستيلاء على الجيوب والحرير فيها كممتلكات لهم . انضم الى هذا الجيش لي مي (٥٨٢ - ٦١٨) . وفي عام ٦١٦ شن جيش واقانغ هجوما على ينغيانغ (تشنغتشو الحالية في خنان) . فأرسل الامبراطور يانغ دى جنزاله تشانغ شيو توه الى ينغيانغ ليقمع جيش واقانغ ، حيث وقع جيش أسرة سوي في كمين ، فانهزم ، وقتل الجنرال تشانغ شيو توه . وفي العام التالي احتل جيش واقانغ هري شينغلو الامبراطوري الكبير الحجم ، ووزعوا ما فيه على الفلاحين . ثم أبادوا عشرات الالوف من القوات الحكومية بالقرب من لويانغ ، واستولوا على كميات كبيرة من مواد التكوين ، وتوسع الجيش سريعا الى بضعة مئات الالوف وسيطر على ولايات ومقاطعات كثيرة في المنطقة ما بين النهر الاصفر ونهر هوايخه ، وأصدر بيانات متددة بخلو الامبراطور ووحشيته وأهاب بالناس للثورة عليه .

ولكن مع تطور جيش واقانغ ازدادت التناقضات في داخله ، فقتل لي مي في عام ٦١٧ قائد الجيش تشاي رانغ ، واغتصب سلطة الجيش . فقد الحق النزاع الداخل بجيش الانتفاضة خسارة فادحة .

وفي عام ٦١٨ ، اغتيل الامبراطور يانغ دى في يانغتشو على يد أحد جنرالاته وبهذا كانت نهاية مملكة سوي التي استمرت ٣٧ سنة .

الثقافة والعلوم والتكنولوجيا

كانت ثقافة أسرة سوي مزيجاً من المراكزين الثقافيين الصينيين التقليديين في ذلك الزمان ، وادي نهر اليانغتسى وادي النهر الاصفر . وكان كل منهما يكمل الآخر ، مما هيا ميلاد ثقافة أرقى مما كان في الاسر الجنوبية والشمالية السابقة .

لقد اتقن بناء الجسور في أسرة سوي تقنياتهم الى درجة تمكنوا معها من بناء جسر آنجي الشهير (جسر تشاوتشو الحالي) على نهر شياوخي على بعد ٢ كم من محافظة تشاوشيان غربي مقاطعة خبى . بنى هذا الجسر بين ٦٠٥ -

٦١٧ بأشراف لي تشون العامل الفني البارز مع مساعده لي تونغ وغيرهما ، وهو يتكون من قوس واحد فقط ، والمسافة بين دعامتيه ٣٧ر٣٧ م ، وطول الجسر الاجمالي ٥٠ر٨٢ م ، وفي كل من الطرفين قوسان صغيران يمكن بهما تخفيض ثقل الجسر والقوة الضاغطة على الدعامتين وزيادة تصريف المياه واضعاف قوة السيول على الجسر في الفيضان . ويبدو الجسر خفيفا ، متناسق الشكل . وعلى الجسر درابزينات جميلة حفرت عليها صور ثنائين وحيوانات واشكال أخرى يمتاز أسلوبها بالقوة والبساطة ، ويعكس روعة فن النحت الحجري في عهد أسرة سوي . وقد مضت ١٣٠٠ سنة على بناء هذا الجسر الا انه ما زال قويا ، وخاصة انه صمد أمام الهزة الارضية التي حدثت عام ١٩٦٦ في شينغتاى ، وكان مركز الهزة الأرضية قريبا من الجسر . هذا ويحتل الجسر مكانة عالية في تاريخ بناء الجسور في الصين وفي العالم بمستواه العالي في الهندسة والفن .

ووفقا للكتب والمعلومات التاريخية ، من الأرجح ان فن الطباعة باللوحات المنقوشة ظهر في عهد أسرة سوي .

وفي ميدان الادب حث الامبراطور ون دى عندما استولى على السلطة على كتابة الادب بأسلوب بسيط ومباشر مثل أهل الشمال ، فلذا انتجت هذه الفترة بعض الاشعار القوية والحيوية ، خاصة في مناطق الحدود . ولكن معظم المثقفين في هذه الحقبة تأثروا بأسلوب الاسر الجنوبية والشمالية ، كما ان الامبراطور يانغ دى دعا الى أسلوب بلاط ممالك ليانغ وتشن الجنوبية ، فساد اتجاه متمق وريزى في هذا العهد .

الاقتصاد الاجتماعى فى عهد أسرة تانغ

أدت الانتفاضات الفلاحية فى أواخر عهد أسرة سوى الى انقلاب عسكرى فى تايوان بشأنشى قام به لى يوان (٥٦٦ م - ٦٣٥ م) ، احد كبار الموظفين فى حكومة أسرة سوى ، واستولى على تشانغآن ونصب نفسه عام ٦١٨ م امبراطورا حاملا لقب قاو تسو ومعلنا انشاء أسرة تانغ (٦١٨ م - ٩٠٧ م) . واعاد هذا الامبراطور الجديد بمساعدة ابنه لى شى مين (٥٩٩ م - ٦٤٩ م) حكم طبقة ملاك الاراضى على نطاق البلاد بأسرها ، وذلك بعد الانتهاء من قمع انتفاضات الفلاحين وتصفية السلطات المحلية .

بين الحاكم والمحكوم

سلم لى شى مين وهو من أشهر أباطرة الصين وحمل لقب الامبراطور تانغ تاى تسونج ، عصا السلطة من أبيه فى عام ٦٢٦ م . وامتد حكمه ثلاثة وعشرين عاما من ٦٢٦ م - ٦٤٩ م .

حدث ظهور السلطة الحديثة تغيرات جذرية فى العلاقات اقتصاديا واجتماعيا فى المجتمع حينذاك ، اذ استرجع بعض الفلاحين أراضيهم التى استولى عليها أسر الاشراف والبيروقراطيين فى أسرة سوى السابقة . كما تحرروا من الضرائب الفاحشة واعمال السخرة التى فرضتها الدولة الاقطاعية . ورغم ازدياد عدد الفلاحين الذين تملكوا أرضا كان هناك عدد غير قليل منهم لم يملكوا أرضا ولم يكن أمامهم من سبيل للعيش الا أن يستأجروا الارض من ملاك الاراضى على أساس ان تكون المحاصيل مناصفة . أضف الى ذلك ، كان عليهم أن يقدموا مختلف الخدمات بلا مقابل لأجريهم . ولكن هؤلاء الذين كانوا مريوطين

كأفنان يَحْتَوِل ملاك الاراضى فى عصور الأسر السالفة قد أصبحوا حينذاك فلاحين أحرارا ، اذ يمكنهم أن يخرجوا من مزارع أصحابهم عقب تسليم ضرائب الارض المطلوبة بحثا عما يتوقون اليه .

وظهر فى عهد تانغ تاى تسونغ عديد من المستشارين والوزراء قدموا مساهمات بارزة فى تدعيم حكمه ، ومن أبرز هؤلاء : وى تشنغ ، الذى كان وزيرا حصيفا فى أوائل سنى أسرة تانغ استفاد دائما الامبراطور تاى تسونغ مما اقترحه فى ادارة شؤون الدولة وتوطيد سلطتها . وعندما حلل وى تشنغ أسباب انهيار أسرة سوى السابقة قال : ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم كالعلاقة بين القارب والماء فالقارب ظهر بسبب الماء ويغرق بسبب الماء أيضا . وتقدم الى الامبراطور بملاحظات جاء فيها انه يجب على الحكومة أن تتخذ سياسات معتدلة لا تتجاوز ما يستطيع الفلاحون أن يتحملوه ، وتجعل أعمال السخرة فى مواسم الفراغ من الزراعة . . وبالطبع ان الهدف الجوهري من هذه السياسة هو تنمية اقتصاد طبقة ملاك الاراضى ورفع ايراداتها .

فى أوائل أسرة تانغ طبق الحكام قانون « المساواة فى الارض » ، و« ضرائب الزراعة » ، و« أعمال السخرة » الذى سن فى زمن أسرة وى الشمالية . ونص قانون « المساواة فى الارض » على توزيع الحقول بمئة مو على كل رجل ناهز ١٨ سنة من العمر ؛ ويتمتع الخلف بالحق فى توارث عشرين مو من كل مئة مو ؛ وأما الثمانون الباقية فتسترجعها الحكومة اذا مات صاحبها . وحدد قانون الضرائب الزراعية وأعمال السخرة على أن يدفع كل رجل داتين من الجيوب (الدان : وحدة وزن صينية) ٧ أمتار من الحرير أو ٨ أمتار من القماش الى الحكومة سنويا ؛ ويؤدى علاوة على ذلك أعمال السخرة مدة عشرين يوما كل عام ؛ ويعفى من السخرة من يدفع بدلا حريريا أو قماشيا .

وعلى النقيض من ذلك ، يتمتع ملاك الاراضى بالحق فى الاحتفاظ بأراضيهم الاصلية ، وكذلك يمكن للارستقراطيين والبيروقراطيين أن يفتصبوا بناء على درجاتهم الأسرية مساحات هائلة من الاراضى كتملكات ثابتة لهم ؛ مثلا ، كان نصيب كل أمير عشرة آلاف مو ؛ وأما كل موظف من الدرجة الاولى فحصته ستة آلاف مو . . كما يعفون من جميع الضرائب وأعمال السخرة . ورغم هذه القوانين التى كانت تشبه أغلالا فرضتها الطبقة الحاكمة فى أسرة

تأنف على الفلاحين ، إلا ان احوالهم قد شهدت بعض التحسن بالنسبة لما كانت عليه في السابق الامر الذى رفع حماسة الفلاحين في الانتاج .

تطور الانتاج الزراعى

حفزت قوانين أسرة تانغ الجديدة الفلاحين الى السعى وراء زيادة المحاصيل ، وقد ساعد على تطوير الانتاج ظهور النواعير والمحاريث التى تمتاز بقبوس قصيرة وسكة متحركة .

واعطى حكام أسرة تانغ قسطا كبيرا من الاهتمام للانتاج الزراعى فانشتت مشروعات الرى بأعداد كبيرة ولا سيما فى مجارى النهر الاصفر ونهر اليانغتسى . وفى زمن الامبراطور قاو تسنغ ، تم حفر القناة الممتدة من مكان يسمى تونغتشو (داسو الحالية بشنشى) الى النهر الاصفر ، فارثت منها الاراضى البالغة مساحتها أكثر من ٦٠٠ ألف مو ، وسقت القناة المحفورة فى يانغتشى بجيانفسو ٨٠ ألف مو ؛ وسقت ترع الرى التى اقيمت فى تايوان بشانشى رقعات تغطى مئات الالوف من الموات ؛ وكذلك البرك التى حفرت فى شيويه ببوتيان داخل حدود فوجيان حملت المياه الى حقول مساحتها ١٢٠ ألف مو . وفى نفس الوقت ، بدأت تدور عجلة مشروعات تطهير القنوات القديمة . . .

لقد حول الفلاحون من خلال الصراع المرير ضد جبروت الطبيعة الذى استمر اكثر من مئة سنة الاراضى البور الشاسعة الى اراض خضراء معطاءة . وخلقت الشغيلة بدماها وعرقها مقادير ضخمة من الثروات فحقق الاقتصاد الاقطاعى ازدهارا متصاعدا ، وحتى عام ٧٥٤م بلغ عدد السكان ٩٠.٦٩ مليون عائلة . وقد ازداد بأكثر من ضعف عما كان عليه فى أوائل سنى أسرة تانغ . ولكن الطبقة الحاكمة كانت تجبى سنويا كثيرا من الجبوب والأقنشة والحرير من الكادحين فامتلاّت المستودعات والأهراء الحكومية . مثلا كانت الأهراء فى هانجيا القرية من لويانغ أكثر من أربعمئة واكبرها يتسع لخمسمائة طن من الجبوب . .

ارتبط تطور الاقتصاد الاقطاعى بتضخم نفوذ الارستقراطيين والبيروقراطيين وكبار ملاك الاراضى ، ومن خلال امتيازاتهم السياسية والاقتصادية تم لهم الاستئثار بمساحات طائلة من الاراضى الخصبة . وحين حلت أواسط عصور

أسرة تانغ ، أوشكت ألا ترى سوى مزارعهم وبساتينهم وديارهم الفخمة في مناطق تحيط بتشانفآن ولويانغ . غير ان هذه الطبقة الطفيلية ما زالت غير راضية بما امتصته من الفلاحين ، بل صبت عليهم مختلف الجبايات الزائدة واعمال السخرة الإضافية . وأمام هذا الوضع الذى لا يطاق ، لجأ الكثير منهم الى الهجرة فازداد عدد الذين التحقوا بعد فقد أرضهم بصف الفلاحين المستأجرين في مزارع ملاك الاراضى . وفي أواخر عهد أسرة تانغ ، وقعت أغلب الاراضى بيد حفنة ضئيلة من كبار الاغنياء ، حتى لم تجد الحكومة المركزية مجالا لتطبيق سياساتها الزراعية المرسومة . وضعت الحكومة المركزية لمعالجة المشكلة المالية قانونا حدد مبادئ جمع الضرائب بمقتضى مقادير الاراضى والممتلكات التى يملكها دافعو الضرائب ، جرى جمع الضرائب مرتين كل سنة فحققت الدولة الاقطاعية ما تهدف اليه من رفع دخلها المالى ، بيد ان طبقة ملاك الاراضى كانت تتخذ كل السبل والوسائل لاحالة مما يجب عليها أن تحمله على كاهل الفلاحين .

الصناعة اليدوية

دخلت الصناعة اليدوية في عهد أسرة تانغ مرحلة جديدة ظهرت فيها المعامل الكبيرة الاحجام التى تديرها الحكومة والتى تنتج ما يحتاجه بلاط الملك والامراء وموظفو الحكومة كما كان ثمة عدد كبير من الورش الصغيرة الخاصة التى تشمل قطاعات نسج الحرير وصناعة الورق والصباغة وصهر الحديد وسبك الأدوات المتعددة وما الى غير ذلك .

وبلغت فنون نسج الحرير حينذاك مستوى عاليا ، كانت ييتشو (تشنلو الحالية بسيتشوان) ويانغتشو بجيانغسو مشهورتين بإنتاج الحرائر المزركشة بالزهور . وعثرنا في كهف «الألف بوذا» في دونهوانغ على نوع من الحرير الشفاف المزخرف الوجيه في عصر أسرة تانغ . واكتشف في توربان بشينجيانغ أكثر من أربعين نسيجا حريريا ، من بينها فستان منسوج برياش الطيور المتعددة الاصناف ، ويمكنه ان يظهر أربعة ألوان مختلفة اذا نظرنا اليه من مختلف الزوايا أو تحت أشعة الشمس أو المصابيح .

وجدير بالذكر ان صناعة الخزف أحرزت تقدما ملحوظا أيضا ، كانت

شينغتشو (شينغتشاى الحالية فى خبى) ويويهتشو (شاو شينغ الحالية فى تشجيانغ) ذاتى الشهرة فى صنع الخزف . وامتاز خزف شينغتشو بلونه الحليى ، وأما خزف ويويهتشو فاشتهر بشفافيته . وأبدع الخزفيون فى أسرة تانغ طاقما كاملا من وسائل اخراج الخزف الثلاثى الألوان . وكانت عمليات الانتاج كما يأتى : طلاء لبن الخزف الأبيض بدهان شفاف ثم زركشة بالألوان الصفراء والزرقة والخضراء ، ثم يصبح بعد عملية الحرق خزفا حاملا الألوان الزاهية . ولا يفوتنا هنا أن نذكر صناعة الورق . كان فى الصين عدد غير قليل من المدن والمناطق التى عرفت بانتاج الاوراق العالية الجودة ، وصلت أعداد الكتب التى الفتها المكتبة الرسمية فى لويانغ باستخدام أوراق ولاية ييشو الكثانية ما ربا على ٢٥٠٠٠ مجلد . كما كانت هانغتشو وشيوانتشنغ (آنهوى) ويويهتشو (شاوشينغ الحالية بتشجيانغ) تحتلان مكانة هامة فى صناعة الورق .

المواصلات والملاحة

تطلب تطور الاقتصاد الاجتماعى أن تسايره خدمات المواصلات والملاحة . فقد ربطت خطوط المواصلات ما بين شتى أرجاء البلاد . وكانت تشانغآن مركزا لمواصلات البلاد قاطبة مؤديا الى خنان شرقا ، وقانسو غربا ، وسيتشوان فى الجنوب الغربى ، وهوبى جنوبا ، وشانشى وخبى شمالا . وبني فزل على جانبى الطريق بين كل ١٥ كيلومترا تجهز فيه الخيول او القوارب التى خصصت لاستعمال الموظفين او المراسلين ؛ وتجاوز عددها ١٦٠٠ نزل ؛ كما اقيمت على الدروب العامة الفنادق التى تقدم للمارة كل التسهيلات . وكانت شبكات الملاحة من نهر اليانغتسى ونهر هوايخه والقناة العظيمة والبحيرات تربط بين مدن كثيرة .

وأما خطوط المواصلات البرية المتصلة بخارج الصين يومها فأدت الى كوريا شرقا ، والهند والبلدان العربية غربا من حوض تاريم وجبال البامير . وكانت الملاحة البحرية معتمدة على خطين : احدهما من يانغتشو بيجيانغسو او من بنغلادى بشأنلونغ الى كوريا واليابان ؛ والآخر من قوانغتشو عبر شبه جزيرة الملايو والهند الى الخليج ثم الى شرق افريقيا . كانت يانغتشو التى تقع عند ملتقى نهر اليانغتسى بالقناة الكبيرة مدينة تجارية مزدهرة . وكانت مدينة

قوانغتشو زاخرة بالزوار والتجار ورجال الدين القادمين من البلدان العربية وبلاد
الفرس والهند حتى من بلدان جنوب شرقى آسيا . وأقامت الحكومة المركزية
في أسرة تانغ الهيئات الخاصة التي تدير شؤون الملاحة والتجارة الخارجية .

تشانغآن — عاصمة أسرة تانغ

كانت تشانغآن مركزا سياسيا في ايام أسرة تانغ ومركزا للتبادل الاقتصادى
والثقافى بين بلدان آسيا . وبلغ طولها من الشرق الى الغرب ٩ كيلومترات ،
ومن الجنوب الى الشمال ٨٥٠ كيلومترات . وارتفعت فيها قصور الامبراطور
ومباني الدوائر الحكومية والاكاديمية التي كانت تقبل فقط أبناء الارستقراطيين
والبيروقراطيين وملوك الأراضى .

وفصل شارع تشوتشيويه الفسيح جنوب المدينة الى جزئين شرقى وغربى
انتشرت فيهما الدكاكين والمحال التجارية ، وكان في الجزء الشرقى وحده
عدة آلاف من الحوانيت التي احترفت بيع ٢٢٠ حرفة . وأنشئت الفنادق والمستودعات
والمخازن حول أطراف المدينة .

زخرت تشانغآن بعد الانتهاء من حفر بحيرة قوانغيونغانغ الاصطناعية —
مرسى السفن في المدينة ، بالمنتوجات المحلية المتعددة التي نقلت اليها عن طريق
نهر اليانغتشى ونهر هوايخه وروافدهما ، مثل المرايا النحاسية والمنتجات البحرية
من يانغتشو في جيانغسو : المنسوجات الحريرية من شاوشينغ في تشجيانغ ؛
الماج واللؤلؤ وأخشاب الصندل من قوانغتشو في قوانغدونغ ؛ الاوراق والاقلام
من شيوانتشينج بأنهوى ؛ مراة الثعابين والمزرد من قويلين بقوانغشى وما أشبه ذلك .
وينتصب برج دايان البالغ ٦٠ م شرقى شارع تشوتشيويه ، وظل مرتفعا
حتى اليوم بصورة سليمة .

كان من بين أهل تشانغآن سكان من الأقليات القومية مثل التبتيين ، الاتراك ،
الويغوريين ، خيتانيين ، فانشاويين . وكثيرا ما زارها الاجانب من بلدان
آسيا : كوريا ، بلاد الفرس والبلدان العربية . .

كانت السياسات الاصلاحية خاصة السياسة الزراعية التي اتخذتها أسرة
تانغ قد خففت التناقضات الاجتماعية الموجودة في الأسر السابقة تخفيفا فعالا
فبلغ بفضل ذلك حكم أسرة تانغ اوج الازدهار الاقتصادى الذى استمر من تانغ
تاى تسونج حتى تانغ شيوان تسونج (٦٨٥ — ٧٦٢) .

الاقليات القومية والعلاقات الخارجية في أسرة تانغ

كانت البلاد الواقعة في عهد أسرة تانغ (٦١٨ - ٩٠٧ م) تمتد من المحيط الهادى شرقا الى بحيرة بلكاش غربا ومن جبال شينغآن شمال نهر هيلونغ في الشمال الشرقى الى جزر بحر الصين الجنوبي جنوبا . ومن جهة ثانية امتدت يد التنمية الى مناطق الاقليات القومية في مناطق الحدود النائية بعد توحيد الدويلات العديدة فتعززت اواصر العلاقات الحميمية والوثيقة فيما بين القوميات التي ساهمت في تطور الوطن الأم اقتصاديا وثقافيا . هذا وقد ازدهرت كما لم يحصل في اى وقت مضى علاقات اسرة تانغ بعدد من البلدان الاجنبية نتيجة سهولة المواصلات واستتباب حالة الأمن .

قبائل توتشيوى

لم تنقطع الصلات ولا الاتصالات أبدا بين داخل الصين واجزائها الغربية منذ فترة أسر النمالك الثلاث وجن الشرقية والغربية والممالك الجنوبية والشمالية من القرن الثالث الى السادس الميلادى . ففي تلك المناطق الغربية استقرت قبائل توتشيوى (قبائل تركية) على امتداد سفوح جبل آلتاي في منتصف القرن السادس . وسيطرت على مساحات شاسعة ابتداء من جبال شينغآن شرقا الى بحر الخزر غربا ثم حدث الشقاق فيما بينها فانقسمت قسمين ، شرقى وغربى ، في عهد اسرة سوي (٥٨١ - ٦١٨ م) .

تمرد الخان تجل زعيم توتشيوى الشرقية على اسرة تانغ الملكية وتوجه الى الجنوب بحشود حاشدة مهددا سلطتها الحاكمة ثم بعث تاي تسونغ الى جينغ (٥٩٤ - ٦٦٩ م) القائد العسكرى بمائة الف من الجند للهجوم على توتشيوى الشرقية

عام ٦٢٩ م (٥٩٩ - ٦٤٩ م) . فالحق بها ضربات قاتلة قرب ينشان ووقع الخان جلى أسيرا . ووجه امبراطور تانغ اوامره الى الولى وعين احد زعماء توتشيوى مسئولاً عن شؤون القبائل ، ومن ثم اطلق اهل توتشيوى على الامبراطور تانغ تاي تسونغ لقب « الخان السماوى » .

حينذاك اوفد مبعوث من قبل الخان دونغيهو زعيم توتشيوى الغربية للاتصال بأسرة تانغ معترفا بقيادة حكومة تانغ المركزية . فمنحه الامبراطور منصبا رسميا . وقعت مساحات شاسعة جنوب تيانشان الى هضبة الپامير تحت سيطرة توتشيوى الغربية فى اوائل اسرة تانغ ثم اقامت هناك حكومة تانغ ولاية ومقرا للولى ، وبعد ذلك اقامت مركزا يتولى تهدئة المناطق الغربية فى بلدة قاوتشانغ (توربان ، حاليا) عام ٦٤٠ ، بغية ادارة تلك الاراضى .

تمرد الخان شابلو زعيم توتشيوى الغربية على اسرة تانغ عام ٦٥١ واغار على المنطقة الغربية بجموع حاشدة ثم اوفد سو دينغ فانغ (٥٩٢ - ٦٦٧ م) القائد المسمى من قبل امبراطور تانغ قاو تسونغ بحشود حاشدة لقمع المتمردين عام ٦٥٧ م وقد نجح فى اخضاعها .

عندما جلست امباطورة تانغ - وو تسه تيان (٦٢٤ - ٧٠٥ م) على عرش الحكم اصدرت اوامرها بتعيين واليا فى ولاية تنغتشو (جسار فى شينجيانغ ، حاليا) عام ٧٠٢ م والولى مسئول عن ادارة المنطقة الشاسعة من شمال تيانشان ومن ضمنها جبل آلتاي وغرب بحيرة بلكاش ، وكان ذلك بنية توطيد نفوذها فى حدود شمال غربى الصين .

واما مركز تهدئة الغرب فهو مسئول عن ادارة الجيوش المراقبة فى البلدات الاربع التالية : قويتسى (كوتشار فى شينجيانغ ، حاليا) ؛ يويتيان (خوتان فى شينجيانغ ، حاليا) ؛ شوله (كاشى فى شينجيانغ ، حاليا) ؛ صويه (قرب نهر تشوخه جنوب بحيرة بالكاش) . لذا اطلق المؤرخون عليها بلدات آتشى الاربع . اما بلدة صويه فهى مكان هام فى اقصى الغرب يتمتع بموقع استراتيجى هام لعب دورا فى الدفاع عن حدود البلاد والمواصلات بين الشرق والغرب لذا كان الولى يهتم شخصا بأمر البلدة . كان تسين تسان الشاعر المعروف فى اسرة تانغ قد اشترك فى اعمال الادارة العسكرية شمال غربى الصين آنذاك ونظم كثيرا من القصائد وصف فيها جمال الطبيعة فى الحدود النائية .

وكان مقر الولى فى كل من آنشى وبىتينغ قد لعب دورا كبيرا فى الدفاع عن الوطن الموحد وامن الحدود وتعزيز الصلات بينها وبين داخل البلاد . وازضافة الى ذلك انشأت حكومة تانغ حقولا زراعية على امتداد جبل تيانشان بينما جلب الكادحون من قومية الهان اليها الوسائل الزراعية التى دفعت عجلة الانتاج الزراعى هناك . وتدفق بعض افراد القوميات من المنطقة الغربية الى تشانغان لدراسة العلوم والثقافة كما نقلت الكتب من داخل البلاد الى تشانغان فأنشئت هناك مدارس اشبه بالكليات ، ورغم ذلك ارتحل المطربون والرسامون الى داخل البلاد ولقيت اعمالهم الفنية ترحيبا حارا لدى المواطنين فى داخل البلاد .

قبيلة هويخه

عاشت قبيلة هويخه على شواطئ نهر سهلنغ شمالا خاضعة لقبيلة توتشيوى الشرقية فى اوائل عهد اسرة تانغ ثم اتجهت الى الجنوب بعد انحلال توتشيوى الشرقية ومن ثم توصلت الصلات بينها وبين تانغ ثم نهض جويلجا يوحدها بالقبائلها بالقوة عام ٧٤٤ واستولى على منطقة شاسعة من غرب نهر هيلونغ شرقا الى جبل آلتاى غربا ثم منحه حكومة تانغ لقب «الخان العادل» . وبعد ذلك ارسل الخان رسالة الى الامبراطور عام ٧٨٨ طلب فيها استبدال اسم هويخه بدلا من هويخه . ثم هاجر معظم افراد هويخه الى منطقتى قانسو وشينجيانغ غرب الصين بعد انحلال سلطتهم فى منتصف القرن التاسع . وكثيرا ما ابتاع اهل هويخه الحراير والشاى من تجار الهان مقابل الخيول والفرو كما اعجبوا بما ابدعه الشعراء الهانيون ، فكان كمال الشاعر من هويخه ينظم القصائد باللغة الهانية بينما استنسخ قصيدة بعنوان : «الشيخ الذى يبيع الفحم النباتى» نظمها باى جيوى يى الشاعر المعروف آنذاك من قومية الهان وقد قال فى قصيدته : «كانت امة الهان لنا قوة حسنة منذ قديم الزمان» . ان كلماته هذه تعكس الشاعر العميقة بين قومية الهان وبين قوميات المنطقة الغربية .

هويخه

عاشت قبائل هويخه على شواطئ انهار هيلونغ وسونغهوا وووسول فى مطلع القرن السابع وكانت تجرى وراء الكلا والماء لرعى المواشى فى ايام الصيف

وتقضى ايام الشتاء في بيوت محفورة في الارض . ومع ذلك انقسمت الى قبائل عديدة منها هيشوى (الماء الاسود) وسو مو كلاهما قوى نسبيا ، انضم بعضها الى قبيلة الماء الاسود بعد منتصف القرن السابع والبعض الآخر الى قبيلة سومو .

انتشرت قبيلة الماء الاسود على ضفتى المجرى الاسفل لنهر هيلونغ وقدمت لاسرة تانغ ضرائب وجبايات عام ٦٨١ ومن ثم تعززت العلاقات بين الطرفين ، حينذاك عينت حكومة تانغ زعيم قبيلة الماء الاسود واليا لاقليم بولى (ملتقى نهري هيلونغ ووزونج) عام ٧٢٢ ، ثم اقامت مقر الولى ومناصب مختلفة بالمنطقة التى استقرت بها قبيلة الماء الاسود وعينت زعيم القبيلة مسئولا عن ادارة مناطق متعددة . هذا وقد اقامت حكومة تانغ مجموعة من المؤسسات الادارية على وادى نهر هيلونغ مما عزز العلاقات بينهما .

انتشرت قبيلة سو مو جنوب قبيلة الماء الاسود وخضعت لحكومة تانغ منذ تأسيسها . وتوحدت بطونها العديدة على يد داتسو رونج في اواخر القرن السابع . وعين امبراطور تانغ شيوان تسونغ دا تسو رونج واليا على اقليم هوخان وسلطانا لاقليم بوهاى عام ٧١٣ ، وعلى هذا النحو تأسست سلطة بوهاى الحاكمة بزعامة دا تسو رونج ، آنذاك تحول اسم سو مو مو خه الى قبيلة « بوهاى » .

استقر في اقليم بوهاى اكثر من مائة الف عائلة تعيش على زراعة الارض والفول والقمح والذرة كما مهتت في نسج الاقمشة والحرائر وصناعة الخزف والخمور كما اوفد كثير منهم الى تشانغان (شيآن ، حاليا) لدراسة الانظمة الحديثة والقديمة ثم رجعوا الى ديارهم ، وازدهر الاقتصاد والثقافة في ذلك الوقت في منطقة بوهاى ولم يكن ثمة فرق كبير بينها وبين داخل البلاد وكذلك نقلت الى داخل البلاد المنتجات المحلية مثل فرو السمور وجلد عجل البحر والنسور والجنسن والمسك والخيول والنحاس .

قبائل نانتشاو

عاش العديد من الاقليات القومية في منطقة يوننان بجنوب الصين . وكانت الصلات بينها وبين اهل الهان وثيقة ومتينة كما اقامت الحكومات المتعاقبة فيها دوائر المحافظات والاقاليم منذ اسرة الهان الغربية .

انتشرت نانتشاو ، تضم ستة قبائل كبيرة اسمها « التشاوات الستة » ، على شواطئ بحيرة ارهاى شمال غربى يوننان ، وانحدر منها اسلاف قوميتى باى ويى حاليا . اما نانتشار فعاثت فى اقصى الجنوب بعيدة عن سائر التشاوات الخمسة . وعين امبراطور تانغ شيوان تسونغ (٦٨٥ - ٧٦٢ م) بيلوك سلطانا لنانتشاو عام ٧٣٨ ثم سمح له ان يضم اليه غيره من التشاوات الخمسة . فبدأ بيلوك وابنه كولوفنغ يوحدان سائر القبائل حتى توسع وتوطد نفوذهما . حينذاك كان نظام العبودية سائدة فى قبيلة نانتشاو وعمل العبيد فى الحرث والزرع تحت اشراف اتباع الأمراء والموظفين والمولى كما نهب ثمار جهدهم وتجرجع العبيد كؤوس الشقاء والبؤس والحرمان .

تأثرت قبيلة نانتشاو بالحضارة الهائلة المتقدمة وتطورت تطورا عظيما فى الاقتصاد والثقافة ، فنقل اهل نانتشاو فن الحرف اليدوية على يد الصناع من داخل البلاد حتى وصل مستوى منسوجاتهم الحريرية مستواها فى منطقة سيتشوان كما احرزوا نجاحات باهرة فى الفن المعمارى ومثال ذلك الابراج الثلاثة فى معبد تشونغشونغ التى بنيت قبل الف سنة بين جبل تسانغشان وبحيرة ارهاى لاتزال شاهدا حيا على ذلك .

توفان

تنحدر قومية التبت من قبيلة توفان التى عاشت على هضبة تشينغهاى التبت منذ ازمان بعيدة ترمى ابقار البالك والخيول والأيل . ولما استقرت اخذ ابنائها يزرعون شعير تشينغكة والحنطة السوداء والقمح والفلو ويشغلون بحياكة الاقشة والبسط . كانت الهضبة غنية بالذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير لذا مهر اهل توفان فى صناعة الاواني الذهبية والفضية والنحاسية والدروع وعتاد الحرب .

تولى سونغتسان جامبو سلطة الحكم على توفان فى اوائل القرن السابع فاتخذ من لاسا مركزا سياسيا بعد توحيد القبائل واسس سلطة حكم قوية طبقت نظاما عبوديا . والى جانب ذلك ، كان محبا لثقافة تانغ فطلب مرارا من الامبراطور تانغ تاى تسونغ يد احدى الأميرات . فارسل الامبراطور الاميرة ون تشنغ اليه فتزوجها فى توفان عام ٦٤١ . وقد نزل سونغتسان جالو برجاله قرب بحيرة

بوهاي لاستقبال الأميرة واسكنها في قصر على شكل بنايات تانغ ، وقد جلبت الاميرة الى توفان يذور الخضروات ومنتجات يدوية ومراجع عن الطب والصيدة والمهن الحرفية . وبعد ذلك تدفق اليها الهانيون المهرة في صناعة الشراب وحجر الرحي والورق والحبر وتربية دود القز وساهم سونغتسان جامبو والاميرة ون تشنغ مساهمات غير قليلة في تعزيز العلاقات بين قوميتي الهان والتبت وتطوير الاقتصاد والثقافة في توفان . وبعد ذلك ، توثقت بين الطرفين العلاقات الودية اكثر من ذي قبل فطلب ملك آخر في توفان ، تشتسودتسان ، يد اميرة من الامبراطور قانغ تشونغ تسونغ فوجه الامبراطور من الاميرة جين تشنغ ثم كتب رسالة الى الامبراطور يقول فيها : « تشارك توفان اسرة تانغ سقفا واحدا » . وتم التوقيع على معاهدة تحالف بين الطرفين عام ٨٢١ تنص على ما يأتي : « تتضمن اسرة تانغ وتوفان في السراء والضراء ولا يجوز لأى من الطرفين ان يشير الفوضى والبغضاء ابدا . » كما رفع نصب تذكاري سمي « نصب الحلف » لايزال مقاما امام معبد زوغلاكغ في لاسا .

العلاقات بين اسرة تانغ وبين البلدان الآسيوية

تمتعت الصين في اسرة تانغ بمكانة متقدمة ومزدهرة ثقافيا واقتصاديا كما كانت المواصلات والنقل اكثر تطورا من العصور السابقة فنشأت علاقات لاسابق لها من الزيارات المتبادلة بين تانغ وبين البلدان الآسيوية .

العلاقات بين اسرة تانغ وبين كوريا

توثقت العلاقات بين الصين وبين كوريا منذ ازمة بعيدة وزادت اكثر فاکثر بينهما ايام اسرة تانغ . كانت دويلات ثلاث هي كولول وبايكشي وشيلا في شبه جزيرة كوريا في اوائل عهد اسرة تانغ وتدفع الى تشانغان عاصمة تانغ المغنون من كولول وبايكشي ودون بعض الأغاني في موسوعة تانغ الموسيقية . ثم بدأت شيلا توحد الدويلات بشبه الجزيرة في اواخر القرن السابع . ووافدت كثيرا من ابنائها الى تشانغان لدراسة شؤون الحكم والتاريخ والفلسفة والفلك والطب . وتعلم الصناعات منهم اساليب ممتازة من الحرفيين الصينيين ومثال ذلك نسج الحرير المزركش ، وكذلك اعجب طلاب العلم من شيلا بما انتجه الشعراء

المعروفون في اسرة تانغ .

وبالاضافة الى ذلك توثقت العلاقات التجارية بين تانغ وكوريا فاستوردت اسرة تانغ من كوريا البقر والخيول والكتان والقماش والورق والاقلام والحبر والمراوح اليدوية بينما صدر الى كوريا الحرير والشاي والخزف والادوية والكتب مما ادى الى تطوير الثقافة والاقتصاد بين الشعبين الصيني والكوري آنذاك .

العلاقات بين اسرة تانغ واليابان

نشأت العلاقات بين اليابان والصين منذ قديم الزمان . فقد اوفد مبعوث ياباني الى الصين في اسرة هان (القرن الثالث ق . م - القرن الثالث م) ثم اعقبته وفود كثيرة ، وتوثقت العلاقة بين البلدين في اسرة تانغ ، وتقول الوثائق : وفدت الى الصين ١٣ بعثة يابانية كل منها تضم ما بين ٥٠٠ - ٦٠٠ شخص ، من بينهم المبعوث الرسمي ومرافقوه والطلاب الذين يدرسون الفلسفة والتاريخ ونظام الحكم والادب والفن والفنون الانتاجية وغيرها . وقيل ان بعضهم قد اقام في الصين اكثر من عشر سنوات بل منهم من اقام بها اربعين سنة . وصل الى الصين ناكامار وللدراسة وتسمى باسم « تشاو هنج » على عادة الصينيين ونظم قصائد ممتازة بالصينية لقيت الثناء والتقدير من الشاعر الفطحل لي باي والاديب المعروف وانغ وي آنذاك فتوطدت بينهم الصداقة . عندما اراد تشاو هنج ان يعود الى وطنه نظم وانغ وي قصيدة للوداع عبر فيها عن الحزن والألم ثم اشيع ان السفينة التي اقلته قد غرقت في البحر فتألم الشاعر لي باي ونظم قصيدة بعنوان : « رثاء الخل الوفي تشاو هنج » عبر فيها ايضا عن الشاعر العميقة بين الشعبين الصيني والياباني .

اثر تانغ اسرة تانغ في اليابان ثقافيا . فنشط المعلمون اليابانيون في زرع بلور الثقافة التانغية بعد عودتهم الى الوطن فاصلحت اليابان نظام ادارتها على غرار ما حصل في اسرة تانغ وحقت نظام المساواة في الاراضى واستشجار الاراضى وكانت مدينة كيوتو اليابانية تشبه تماما تشانغآن عاصمة تانغ من حيث البناء المعماري ، فيها « شارع شيوجياكو » « والسوق الشرقية » و« السوق الغربية » كما كان في تشانغآن والجدير بالذكر ان العلماء وضعوا للأمة اليابانية لغة

مكتوبة ترجع الى مقاطع هائية ، ويحافظ اليابانيون حتى الآن على معالم تانغ في المأكولات والمشروبات والملابس والحياة اليومية وما الى ذلك .

رحلة الراهب شيوان تسانغ الى الغرب

بدأت العلاقات الودية بين الشعب الصيني والشعوب في شبه جزيرة الهند منذ سنين موزغة في القدم فاوفدت الهند مرارا مبعوثين الى الصين في عهد تانغ تاي تسونغ كما اوفدت اسرة تانغ مبعوثين الى الهند . ونقلت من الهند الى الصين علوم الطب والفلك والموسيقى وفنون الحرف اليدوية كما نقلت الى الهند من الصين صناعة الورق والكتب ، والى جانب ذلك ، ساهم الراهب شيوان تسانغ مساهمات كبرى في دفع عجلة العلاقات الثقافية بين الصين وشبه القارة الهندية .

توجه الراهب شيوان تسانغ الى الهند منتقلًا من تشانغان لجلب الكتب البوذية في اوائل حكم تانغ تاي تسونغ فوصل الى الهند بعد عبور شينجيانغ وهضبة البامير وتجول اثناء اقامته في الهند في المعابد ووصل الى نيبال مسقط رأس ساكياموني مؤسس الدين البوذي وتعلم لهجات اهل شبه الجزيرة وانهمك في دراسة الكتب البوذية حتى اصبح عالما فذا في الدين البوذي وقد عظمته ومجده شعوب عديدة في العالم . ثم رجع الراهب شيوان تسانغ الى تشانغان حاملا ستمائة مؤلف من الكتب البوذية عام ٦٤٥ ، واتم ترجمة ١٣٠٠ مجلد منها في عشرين سنة . ومن المعروف انه قد فقدت الكتب البوذية الاصلية في الهند . فتحولت ترجمات البوذي تانغ الى كنز لدراسة حضارة الهند القديمة . ووضع شيوان تسانغ وتلاميذه كتابا بعنوان : « رحلة التانغ الى الغرب » وصفوا فيه احوال ١٣٠ دولة في الهند آنذاك من حيث الجغرافيا والثروات والمنتجات المحلية والعادات والتقاليد والدين والتاريخ . والكتاب مؤلف هام يبحث في تواريخ الدولات القديمة في شبه الجزيرة الهندية . كما وضع بعض الادياب في اسرتي يوان ومينغ قصصا اسطورية عن جلب البوذي تانغ الكتب البوذية ، منهم الاديب وو تشنغ ان (حوالي ١٥٠٠ - ١٥٨٢ م) الذي ألف قصة بعنوان : « الرحلة الى الغرب » التي انتشرت على كل لسان في الصين .

العلاقات بين تانغ وبين غرب آسيا واوربا وافريقيا

شهدت العلاقات الودية تطورا عظيما بين تانغ وبين البلدان في غرب آسيا

وأوروبا وأفريقيا إذ جاء المبعوثون إلى الصين من بلاد فارس وبلاد العرب وبيزنطة . فقد ذكر أحد الكتب التاريخية أن المبعوثين العرب جاءوا إلى الصين أكثر من ثلاثين مرة من أوائل عهد تانغ قاو تسونغ إلى أواخر عهد تانغ ده تسونغ (٧٤٢ - ٨٠٥ م) .

واحتشد في بعض المدن أيام أسرة تانغ التجار والطلاب والصناع ورجال الدين وغيرهم من المسلمين الفرس والعرب حيث لقوا احتراماً وتبجيلاً من حكومة تانغ وأقيم جامع للمسلمين في مدينة قوانغتشو . كما كان الطلاب من البلدان المختلفة يدرسون في تشانغان وكذلك نقل الفنانون الموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية إلى الصين في أسرة تانغ .

كانت حكومة تانغ تشجع التجار الأجانب على الاتجار في الصين ولم تسمح أن تفرض عليهم مكوس باهظة . وكان بعض التجار الأجانب يأتون إلى الصين للبيع وآخرون يستقرون في الصين . وأقام في كل من مدينتي تشانغان ويانغتشو آلاف من تجار الحرير والمجوهرات والدرر ، وآخرون أنشأوا حوانيت صغيرة تباع النبيذ والخبز المسمى « الخبز القوي » . وعثر على نقود فارسية فضية وأخرى بيزنطية ذهبية وهي شواهد تاريخية ترمز إلى السلام والمودة بين الشعب الصيني وبين الشعوب المختلفة في غرب آسيا وأوروبا .

في ذلك الوقت نقلت صناعة الحرير والمنتجات الخزفية وغيرها إلى غرب آسيا وأوروبا عبر « طريق الحرير » وكذلك نقلت إلى إفريقيا وأوروبا على يد العرب .

الثقافة في أسرة تانغ

بلغت الحضارة في عهد أسرة تانغ أوجها في الصين فشهد الاقتصاد تطوراً مضطرباً وازداد التبادل الثقافي مع البلدان الأجنبية . وإضافة الى ذلك ظهر علماء بارزون من القوميات المختلفة وعلى رأسها قومية الهان شادوا ثقافة راقية على أساس الثقافات الموروثة من الأسر الملكية السابقة منذ القرن الثالث .

العلوم

طبع كتاب « المحاورات الماسية » البوذي والتقاويم الفلكية ودواوين الشعر في أسرة تانغ ، وكتاب « المحاورات الماسية » البوذي والذي يضم عدة مجلدات لازالت محفوظة منذ عام ٨٦٨ م ويعتبر من أقدم المطبوعات في العالم . والمجلدات صفحاتها جميلة وخطوطها مسطرة منسقة وفن طباعتها وصل الى درجة عالية ، هذا وقد كان اختراع الطباعة على النحوت الخشبية تحولاً عظيماً في حفظ المعارف والعلوم .

سنغ يى شينغ (٦٨٣ - ٧٢٧ م) عالم في الفلك ، درس ما توصل اليه العلماء السالفون وما ساهموا به في علم الفلك فنجح بالتعاون مع ليانغ لينغ تسان صانع المقاييس في اختراع جهاز فلكي واستخدمه في تحديد مواقع النجوم والكواكب فتوصل الى ما لم يتوصل اليه الاسلاف مما شجع العلماء على متابعة حركات الكواكب . ارسلت حكومة تانغ في الفترة من ٧٢٤ م - ٧٢٥ م وبناء على اقتراح من سنغ يى شينغ ، العلماء الى ١٣ محطة للارصاد تنتشر في طول البلاد كي يتمكنوا من تحديد موقع القطب الشمالى وطول خط الزوال الشمسى ، وكان من بينهم نان قونغ يويه عالم الفلك واصحابه الذين قدموا اهم النتائج التى توصلوا اليها في مقاطعة خنان . اما سنغ يى شينغ ورجاله فتوصلوا الى ايجاد طول خط الزوال - اول مرة حدد فيها طول خط الزوال في العالم - المرتبط بمعرفة حجم الكرة

الارضية .

وكذلك تطور الطب تطوراً عظيماً في أسرة تانغ فانشئت مدرسة طب متعددة الاقسام حين تولى تانغ تاي تسونغ الحكم . ووضع العلماء كتاب « الاعشاب في أسرة تانغ » حين تولى تانغ قاو تسونغ الحكم وهو اول موسوعة في علم الصيدلة في العالم . وبرز الاطباء في أسرة تانغ مثل وانغ شولين الطاووى المذهب والطبيب يويان يواندان قونغبو من قومية التبت وسون سى مياو الطبيب المشهور الذى وضع كتاب « الوصفات الطبية » .

ولد سون سى مياو (٥٨١ - ٦٨٢) في هوايوان ، بلدة وفيرة بالاعشاب الطبية (محافظة ياوشيان مقاطعة شنشى ، حالياً) . كان يتسلق قمم الجبال لجمع الاعشاب الطبية واجتهد في دراسة التجارب السابقة واتم تأليف كتاب « الوصفات الطبية » عام ٦٥٢ وسجل فيه ٨٠٠ صنف من الأدوية و ٥٣٠٠ وصفة طبية . كما تعمق في دراسة فعاليات الادوية على اساس معارف الاطباء السالفين عن الصيدلة فوجد ان نباتات شقائق النعمان والريزوم كويتيديس ناجمة في علاج الدوسنطاريا والاريقية في علاج الديدان البطنية وكبريتيد الزئبق في ورجع الغار نافعان وفعالان في مقاومة السم . هذا وقد لقب سون سى مياو بلقب « ملك الصيدلة » .

الشعر والشعراء

شهدت أسرة تانغ اكثر المراحل ازدهاراً في ميدان الشعر ووصلنا من ذلك العهد خمسون ألف قصيدة تعكس احوال الحياة في ذلك المجتمع ويتصف كثير منها بأسلوب فنى رائع ومضامين فكرية جيدة نسبياً ولازال شعبنا الى يومنا يردد كثيراً منها . ومن كبار الشعراء الذين برزوا في هذا الميدان : لى باى ودو فو وبائى جيوى يى وغيرهم .

لى باى (٧٠١ - ٧٦٢) ولد ببلدة سيبه جنوب بحيرة بلكاش ثم نزع مع ابيه الى سيتشوان ، وعاش يوم كانت أسرة تانغ في اوج ازدهارها . كان مولعاً بالسباحة منطلقاً من حب الوطن الوفير بالمناظر الطبيعية وترك آثاراً قديمة في شتى انحاء البلاد ونظم قصائد يصف بها المناظر الطبيعية في الوطن بحماسة دافقة وقدرات خيالية واساليب بليغة وكلمات حيوية . فلما وصف نهر اليانغتسى

انشد يقول :

« يتمايل شيخ قارب في سماء صافية »

لم أر الا اليانغتسى يجرى نحو السماء .

وعندما وصف هدير النهر الاصفر يتدفق الى ابعاد بعيدة قال :

« ألا ترى ان النهر الاصفر ينبع من السماء ،

ويتدفق الى المصب دون رجعة . »

كما نظم شعرا عن الشلال الطائر بجبل لوشان ، مقاطعة جيانغشى فقال :

« سيل عارم ينزل الى الف متر ،

كأن نهر المجرة يهبط من عليائه . »

ومن يقرأ قصائد لي باى التهبت في نفسه المشاعر والمواطف حيال الجبال والانهار في بلادنا . وتلك الأشعار لم يرددها الشعب الصينى وحده بل انتقلت الى كثير من البلدان الأجنبية .

دو فو (٧١٢ م - ٧٧٠ م) مولود في محافظة قونغشيان ، مقاطعة خنان ، حاليا ، استقر في تشانغآن عاصمة تانغ عشر سنوات ، ورأى بأمر عينيه الظلم يسود جميع القطاعات فنظم كثيرا من القصائد يعكس فيها التناقضات الطبقيّة والحياة الواقعية آنذاك . وذات يوم شتوى عاد من تشانغآن الى البيت فلما دخل البوابة اخبرته زوجته بأن ابنه قد مات من الجوع فقفز الى ذهنه ما رآه اثناء مروره بجبل ليشان حيث رأى الامبراطور تانغ شيوان تسونغ يشارك وزراءه في معاقرة الخمر ومداعية النساء فارسم على وجهه الامتعاض والتهبت في كبده فار الحقد والغضب . وفي الحال نظم قصيدة ترددت على الألسن من جيل الى جيل منها :

« ختم اللحم وفسد الخمر في القصر الوثير

والناس تموت وعل الدرب من برد وجوع »

كان صاحبنا يتنقل من مكان الى آخر اثناء فترة آن - شى فنظم قصيدة

منها :

« هلك الوطن ،

وليس سوى الجبال والانهار ،

وارتفعت في المدن الاعشاب . »

معبرا بذلك عن الغضب والحقد . دفعت تلك الفتنة الشاعر الى نظم قصائد تفضح الطبقة الحاكمة الاقطاعية التي فرضت على الشعب استغلالا واضطهادا ، وكانت قصائده تتميز بالرصانة والرزانة والعواطف الجياشة الدقيقة والمشاعر المكبوتة كما تمكس مرحلة تاريخية معقدة واطساعا فوضوية فاطلق عليها الناس القصائد التاريخية .

باى جيوى يى (٧٧٢ م - ٨٤٦ م) عاش فى مرحلة تفسخ اسرة تانغ وشدة تفاقم التناقضات الطبقية . استخدم الشاعر قصائده فى نقد ودحض السامة الظالمين وفصح جرائم الطبقة الحاكمة كما عبر بها عن آلام الشعب . فقد نظم قصيدة تعبر عن اوضاع النبلاء والاغنياء بعد اشتراكهم فى وليمة فقال :

« اطمأن القلب بعد الشبع

غلت الحماسة بعد شرب الخمر . »

ولكن الشعب الكادح كان يزرع فى بؤس وشقاء فقال :

« اصاب الجفاف والقحط جنوب نهر اليانغتسى ،

واكل الانسان الانسان فى محافظة تشيوى . »

ونظم قصيدة بعنوان : « البساط الاحمر » وصف فيها المسئول عن مدينة شيوانتشينج بأنه كان يفرض سنويا على اهل المدينة ان ينسجوا بسطا من الحرير هدية للامبراطور ، فقال :

« الا تعرف ايها المسئول عن مدينة شيوانتشينج ،

قطعة البساط تحتاج الى عشرات كيلوغرامات من الحرير ،

والانسان لا الارض يحتاج الدفء ،

لا تختطف الملابس من الرعايا ولا تلبس الارض . »

ان قصائد باى جيوى يى سهلة الفهم وقيل انه عندما كان يكمل قصيدة قرأها امام بعض العجائز ليعرف هل يفهم كلامه ام لا ، ثم يضيف عليها تغييرات حتى يسهل فهمها لذا انتشرت قصائده بين اوساط الشعب على نطاق واسع .

الفنون

برز فى عهد اسرة تانغ عديد من الرسامين اشهرهم يان لى بن فى اوائل اسرة تانغ ووو داو تسى فى منتصف عهد اسرة تانغ ، وكل منهما أثر فنيا على الاجيال

اللاحقة .

يان لى بن ماهر فى رسم صور الاشخاص وتتميز رسومه بالوضوح والقوة .
وقد اكمل لوحة الامبراطور تانغ تاي تسونغ جالسا على عربة فى استقبال رسول
سونغتسان جامبو الذى طلب يد بنت الامبراطور . (اللوحة محفوظة فى قصر
الامبراطور ببيكين) .

كان وو داو تسمى مولما بفن الرسم منذ صغره ولوحاته مجسمة ، وكلما
اكمل لوحة لشخص استخدم الالوان الحمراء فى التعبير عن الاضلاع المفتولة
شأنها شأن التمثال وقد ابدع ٣٠٠ لوحة جدارية فى المعابد القائمة فى تشانغآن
ولويانغ . وملاحظ الاشخاص فيها يختلف بعضها عن بعض والصور تبدو
حقيقية وكأنما تهتف عليها الاوشحة امام النسيم العليل فاطلق الناس عليه
لقب : « النبى الرسام » .

ان الكهوف الحجرية منجزات فنية رائعة فى بلادنا وخاصة كهوف موقاو ،
دونهوانغ بمقاطعة قانسو . فقد حفر الناس اكثر من الف كهف جنوب شرقى
دونهوانغ على امتداد جبل مينغشا ولم يبق منها الا ٨٠ ٤ كهفا تم تشييد معظمها
فى عهود اسرتى سوي وتانغ . اما كهوف موقاو فلقبها الآخر كهوف الالف
تمثال بوذى ، بعضها يعلو بارتفاع ٣٣ مترا ، وقد شيدت عمارة شامخة تغطى
الكهوف من خارجها من اجل الحفاظ على تلك الفنون القديمة . وعلى جدران
الكهوف رسوم ملونة تحاكي المناظر الطبيعية من الحقول المزروعة والحصاد
الوافر وتربية المواشى والرقص والغناء والصور لزعماء القوميات المختلفة .
وهذه الصور تعكس احوال الاقتصاد المزدهر فى عهد اسرة تانغ وحياة الترف
والفساد التى عاشتها الطبقة الحاكمة ، وكذلك الجهد الجهد الذى بذله الكادحون
آنذاك . فاذا قدرت الجداريات فى كهوف موقاو بصفحات يعلو كل منها خمسة
امتر والحقت واحدة باخرى بلغ طولها الاجمالى ٢٥ كيلومترا وهى بحق اكبر
مستودع فنى فى العالم اظهر مقدرة وحكمة الكادحين الصينيين .

انتفاضات الفلاحين في أسرة تانغ وتدهورها

اصاب أسرة تانغ المزدهرة التدهور حين تولى تانغ شيوان تسونغ (٦٨٥ - ٧٦٢) الحكم الذى عين كبار القواد مسئولين عن ادارة المناطق الهامة بحدود البلاد عسكريا واقتصاديا ، فى اوائل توليه الحكم . وكان آن لو شان الذى حظى بمكانة عالية لدى شيوان تسونغ القائد المسئول عن منطقة خبى ، شانشى ، ليوانينغ قد رأى المناطق الداخلية خالية من قوات الجيش والامبراطور تانغ شيوان تسونغ غارق فى منادمة الخمر والنسوة وخاصة حظيته الحسناء يانغ قوى فى ، ويعتمد على موظف فاسد هو شقيق الحسناء يانغ لمعالجة شئون الدولة مما عطل ادارة الحكم ونشر الفساد فى ارجاء البلاد ، لذا ، اراد آن لو شان ان يفتنم الفرصة لاختطاف الحكم من يدى امبراطور تانغ .

فتنة آن — شى

حشد آن لو شان الحشود فى فانيانغ (بكين ، حاليا) عام ٧٥٥ م ، واثار الفتنة ، واقترب الجيش جرائم سفك الدماء والحرائق والنهب فى الطريق الى مدينتى لويانغ وتشانغآن وانتهوا الى السيطرة على المدينتين فالتهمت نار الحقد والغضب فى نفوس الشعب ، واثناء الهروب الى سيتشوان قتل الجنود يانغ قوه تشونغ شقيق يانغ قوى فى حظية الامبراطور ، واجبروا الامبراطور على قتلها . ثم استعاد جنود تانغ تشانغآن ولويانغ بمساعدة قبيلة هويخه وبعد ذلك جاء شى سى مينغ احد اصحاب آن لو شان بدوره يوقد شعلة الفتنة تمردا على أسرة تانغ . وانتهى الأمر الى قمع المتمردين عام ٧٦٣ م . واستغرقت الحرب

ثمانية اعوام واطلق المؤرخون على تلك المأساة فتنة آن - شى .
سببت فتنة آن - شى المأسى للشعب والحققت بالانتاج الزراعى خسارة
كبرى حتى نزع الشعب متشردا فى كل مكان وكادت المحافظات على بعد مئات
الكيلومترات من مدينة لويانغ تتحول الى انقاض . ثم بدت اسرة تانغ ضعيفة
منهكة القوى ومع ذلك سنح لساثر القواد فرصة توسيع نطاق نفوذهم ، وتجنيد
الصغار وكان غير قليل من القواد مع اسرة تانغ فى الظاهر مبتعدين عنها فى الباطن
لم يقدموا الجبايا للحكومة المركزية بل شغلوا المناصب الرسمية بمعرفتهم .
وعندما كان يوافى القائد اجله يرث ابنه بدوره الحكم ، كل هذا والامبراطور
عاجز عن التدخل فى شؤونه . وعلى هذا النحو ظهر عزل كبار القواد عن القيادة .

انتفاضات الفلاحين

نهب بلاط الحاكم والاستقراطيون وكبار الموظفين وملوك الاراضى ما
امتلك الفلاحون الفقراء من الاراضى فتشرد الفلاحون فى كل مكان وكانت الضرائب
باهظة فاحشة الى درجة انه كان على الفلاحين الفقراء ان يدفعوا ضرائب الملح
والشاي والخمر والخل اضافة الى ضريبة الثبقات الخضراء وان لم يحصلوا
منها على حبة واحدة .

فقد انفلاخون صبرهم ولم يعودوا قادرين على تحمل الاستغلال الفاحش
فنهض عدة آلاف منهم فى مقاطعتى خنان وشاندونغ يرفعون راية الانتفاضة فى
تشانغيان ، مقاطعة خنان ، بقيادة زعيمهم وانغ شيان تشى وشكلوا جيشا جديدا .
اصدر جيش الانتفاضة بيانا يندد فيه بفساد الموظفين التانغيين والضرائب الباهظة
والعقوبات القاسية . وفى السنة التالية ، نهض عدة آلاف من الفلاحين بقيادة
هوانغ تشاو فى شمال محافظة تساو شيان ، مقاطعة شاندونغ استجابة لدعوة اخوانهم
الفلاحين فاستولوا على الألوية والمحافظات فالتقت الفتنان من الفلاحين المدججين
كسيل عارم منتقلة من شاندونغ الى خنان وآنهوى وهوبى والحققت بقوات
تانغ والموظفين الفاسدين وملوك الاراضى ضربات مبرحة وصادرت اموالهم
وممتلكاتهم ووزعتها على الفقراء . تسابق الفلاحون الى جيش الانتفاضة ثم
قتل زعيمهم وانغ شيان تشى فى احدى المعارك ولكن جيش الفلاحين واصل القتال
بقيادة الزعيم هوانغ تشاو .

كانت قوات تانغ والقواد قد تركزت في الشمال . وقلت في الجنوب .
واتبع جيش الفلاحين سياسة واقعية ، تجنب مهاجمة النقاط القوية وهاجم
النقاط الضعيفة ، فتوجه الى جنوب نهر اليانغتسى مئات الألوف من المحاربين
عام ٨٧٨ م واستولوا على الألوية والمحافظة في مقاطعات جيانغشى ، آنهوى ،
تشجيانغ قاطعين مسافة اربعمائة كيلومتر في شهر واحد وانتقلوا من تشجيانغ
الى فوجيان بسرعة بالغة واستولوا على مدينة فوتشو الساحلية حاضرة فوجيان ،
وفي العام التالي استولوا على قوانغتشو ، مقاطعة قوانغدونغ .
ثم انتقل جيش الانتفاضة الى مقاطعات هوبى ، جيانغشى ، تشجيانغ ،
آنهوى ، وتجاوز الخط الدفاعى لقوات تانغ على امتداد نهر اليانغتسى وعبر
نهر هوايخه ولم يأخذ شيئا من ممتلكات الشعب اثناء الزحف الى الامام فلقى
ترحيبا حارا من الشعب وتطور بسرعة حتى اصبح قوة لها شأنها عددها ستمائة
الف . ثم استولى جيش الانتفاضة على مدينة لويانغ في نوفمبر عام ٨٨٠ م وتبعه
اخرق مانع تونغقوان الطبيعى . ولما اقترب الجيش من العاصمة تشانغآن هرب
الامبراطور تانغ شى تسونغ الى مقاطعة سيتشوان . دخل افراد جيش الانتفاضة
تشانغآن في ديسمبر وعلى رؤوسهم شالات حمراء متدريين وشاهرين الاسلحة .
وكان اهل تشانغآن يقفون على جانبى الطرق معهم شياهم والبن يقدمونها
لافراد جيش الفلاحين . وقال جيش الفلاحين لسكان تشانغآن : « تمرد الزعيم
هوانغ تشاو من اجل الشعب ، وتصرفاته تختلف عن تصرفات الامبراطور تانغ .
اطمنوا في عيشكم واعمالكم . » وكان جيش الانتفاضة يوزع الاموال والمؤن
على الفقراء فعمت الفرحة والبهجة العاصمة ، تشانغآن .

تأسيس سلطة الفلاحين

انشأ جيش الانتفاضة سلطة الحكم في العاصمة تشانغآن واطلق عليها اسم
دولة تشى الكبرى ، وعين الكادحون في المناصب المختلفة وبدأوا عمليات
قمع الارستقراطيين وكبار الموظفين التانغيين وابادة الأسرة الامبراطورية والفتك
برجال البلاط الذين لم يستطيعوا الخروج من تشانغآن ، وصودرت كذلك ثروات
الاغنياء ووزعت على الفقراء ، وعلى هذا النحو وجهت سلطة الحكم للفلاحين
ضربات شديدة الى طبقة ملاك الاراضى في انحاء البلاد وجعلت النظام الاجتماعى

ينقلب رأساً على عقب .

وبعد ما تأسست سلطة الحكم لم يواصل جيش الفلاحين مطاردة قوات تانغ مغتنماً فرصة الانتصار مما أتاح للأخيرة فرصة التقاط أنفاسها فحشد الحكام وملاك الأراضي قواتهم المتبقية وشنوا هجوماً على جيش الفلاحين . فلما ضربت قوات تانغ حصاراً على مدينة تشانغان كان جيش الانتفاضة ينقصه العون والمؤونة فاستسلم لقوات تانغ تشو ون القائد المسئول عن منطقة شرقي تشانغان فانسحب جيش الانتفاضة من تشانغان عام ٨٨٣ ومضى زعيم الفلاحين بهزيمة في جبل تايشان ، شاندونغ ، ثم واصلت بقايا جيش الانتفاضة القتال وهكذا لحق الفشل بانتفاضة الفلاحين التي استغرقت عشر سنوات قطعت خلالها عشرات الالف الكيلومترات واكتسحت أطرافه عهريه في الصين .

الناشر : دارمجلة " بناءالصين " (بكين)
 الموزع : الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزى شويديان)
 ص ٣٩٩ ب ٣٩٩ بكين ، الصين
 طبع في مطبعة اللغات الاجنبية
 الطبعة الاولى : عام ١٩٨٦

«长城丛书»
 中国古代史 (上)
 中国建设杂志社出版 (北京)
 中国国际图书贸易总公司发行
 新华印刷厂 外文印刷厂印刷
 1986年第一版
 00432
 编号: (阿) 17—A—1978 P A

